

المصباح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

العدد 106 - ماي 2016

أي مستقبل للمهندسة المالية؟

نجم الدين غربال

في أسباب الأزمة: أصل الأزمة الأساسية و الاجتماعية الراهنة

أ. نوفل سعيد

تجديد الفكر الديني

محمد الصالح ضاوي

الثقافة التي نريد

م. فيصل العش

تاريخ البلاهة

أ.د. فوزي أحمد عبد السلام



«مئذنة الجامع الكبير - صفاقس»

ترتفع مئذنة الجامع الكبير بمدينة صفاقس 15 مترا وتقع في زاوية الشمالية الغربية، وهي مبنية بالحجر المنحوت على قاعدة مربعة، ومؤلفة من برجين متعاقبين ومنور، تذكر من يراها بمئذنة الجامع الكبير في القيروان، وتتميز عنها بدقة صنعة واجهاتها المؤلفة من صف من الأقراص تعلوه نقيشة بديعة بالخط

الكوفي المورق، وتنتهي بأحجار منحوتة على شكل زهيرات مشكلت من خمسة فصوص. وقد مكنت بعض الاستبارات الأثرية من التأكد من أن المئذنة الأصلية، والتي ترجع للفترة الأغلبية، قد غلفها غطاء بناء منحوت في العهد الفاطمي - الزيري.

يقع الجامع الكبير في مركز المدينة العربية العتيقة، اذ يحتل الوسط تماما، ومنذ تشييده، كانت تحيط به أهم الأنهج والأسواق في المدينة، ولا تزال إلى اليوم تحافظ على قيمتها الاقتصادية.

بدأ بناء الجامع بالتزامن مع بناء سور مدينة صفاقس سنة 849 ميلادية باستعمال الطين والطوب، وفي سنة 859م، جدد بالكس والطين، أثناء حكم أبي إبراهيم أحمد بن الأغلب.

ويرسم المسجد شكلا مستطيلا غير منتظم وتتميز واجهته الشرقية بتناسق زخرفتها المؤلفة من تناوب للنوافذ والأبواب التي أحيطت لوحات جبهاتها بعقود مكونة من ثلاثة أقواس متعاقبة تزين ظهر كل عقد، أدخلت بينها مشاك تتخذ شكل محراب. وتعود هذه الزخارف إلى الفترة الزيرية الفاطمية. وأدخلت أول التحسينات على الجامع في عهد الأمير الصنهاجي أبي الفتوح المنصور عام 988م. ببناء القبلة التي تعتلي الباب الرئيسي والقبلة التي تقابلها بالجهة الجنوبية، وجددت أغلب أجزاء المسجد، ورفع طول المئذنة لتبلغ 25 مترا.

مر الجامع الكبير خلال الاحتلال الفرنسي بأحلك فترة منذ تأسيسه. اذ سقطت أول قبلة أطلقها الأسطول الحربي الفرنسي على صفاقس سنة 1881م على مئذنة الجامع. ثم تم تحويله من طرف الجنود الفرنسيون إلى ثكنة يبيتون فيها ويغسلون فيها ثيابهم، واستعملوا صحن الجامع كاسطبل يربطون فيه خيولهم.

وبعد استقلال تونس، طرأت على الجامع إصلاحات كبرى في مختلف أقسامه، كما تم هدم الدكة التي كانت مقامة بجهته الشرقية لتحميه من تسرب مياه الأمطار، اذ لم يعد لوجودها لزوم مع تواجد شبكة تصريف المياه

مجلة إلكترونية
فكرية ثقافية جامعة

السنة الخامسة

تصدر عن منتدى الفارابي للدراسات والبدائل
ر.د.م.د : 2902 - 2382.

الإصلاح

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

العدد 106 - ماي 2016

تهدف مجلة الإصلاح بلورة فكريا وسطيًا يتفاعل مع محيطه ويقترح حلولاً لمختلف مشاكله الفكرية والسياسية والاجتماعية. وتسعى أن تكون حاضنة لأفكار ورؤى تناضل من أجل بناء دولة فلسفتها خدمة المواطن، ومجتمع مبني على التعاون والتآزر والعيش المشترك في كنف الحرية والمساواة. هي منبر للتحليل واقتراح البديل من دون تشنّج إيديولوجي ولا تعصّب لفئة دون أخرى. يحلم القائمون عليها مواصلة ما بدأه المصلحون، دون تقديس لهم أو اجترار لأفكارهم، منطلقون من الواقع الذي يعيشون فيه، متمسكون بهويتهم العربية الإسلامية ومنفتحون على العصر وعلى كل فكرة أو مشروع يؤدي إلى الإصلاح.

للمشاركة في تأثيث المجلة

* النشر بالمجلة تطوعي وبدون مقابل و يتحمّل الكاتب مسؤولية أفكاره وكتاباتاته
* للمجلة كامل الصلاحيّة في نشر أو رفض المشاركات.
* لا تقبل المشاركات التي تدعو إلى العنف أو التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين أو تتضمّن شتماً أو معلومات من دون ذكر المصدر.

للاتصال بالمجلة

* توزع المجلة مجاناً عبر البريد الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي

* رئيس التحرير : فيصل العش، faycaelleuch@gmail.com

* ر.د.م.د : 2902 - 2382.

* البريد الإلكتروني للمجلة : alislah.mag@gmail.com

* موقع الواب : www.alislahmag.com

* صفحة الفيس بوك : alislah.mag



شعبان 1437 - ماي 2016



12

الثقافة التي نريد

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «م. فيصل العش»



20

أي مستقبل للهندسة المالية؟

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «نجم الدين غريال»

38

تاريخ البلاهة

● ● ● «أ.د. فوزي أحمد عبد السلام»



52

الثوابت الفيزيائية والتقدير الإلهي (2-2)

● ● ● ● ● ● ● ● «د. نبيل غريال»



66

الرهان الأول: المسألة الاجتماعية

● ● ● ● ● ● ● «لطفي الدهواثي»



18



تجديد الفكر الديني

● ● ● ● ● ● ● «محمد الصالح ضاوي»

26



في أسباب الأزمة: أصل الأزمة السياسية والاجتماعية الراهنة

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «أ.نوفل سعيد»

28



العرب والسياسة... تأهيل غرف القيادة.

«بشیر ذیاب» ● ● ● ● ● ● ●

30



الإصلاح التربوي و أوهام المخطط الاستراتيجي القطاعي التربوي

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «إسماعيل يوسروال»

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● «م. رفيق الشاهد»

●●●●●●●●●● «الحبيب بلقاسم»

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● « محمد المعالج »

● ● ● ● ● ● ● «د. مصطفى يوسف اللداوي»

« سالم المساهلي » ●●●●●●●●●●

10	التحرير	الافتتاحية
		الأولى
12	م. فيصل العش	الثقافة التي نريد
		التدوين
18	محمد الصالح ضاوي	تجديد الفكر الديني...
		اقتصادنا
20	نجم الدين غربال	أي مستقبل للهندسة المالية؟
		وجهة نظر
26	أ. نوفل سعيد	في أسباب الأزمة
		أصل الأزمة الساسية والاجتماعية الراهنة
		في الصميم
28	بشير ذياب	العرب والسياسة... تأهيل غرف القيادة.
		الكلمة الحرة
30	إسماعيل بوسروال	الإصلاح التربوي وأوهام المخطط الاستراتيجي
		القطاعي التربوي 2016-2020
		حتى لا ننسى
35	التحرير	8 ماي 1945 داعش الفرنسية في الجزائر
		تمتات
36	م. رفيق الشاهد	لم تنفلت ناعورة الهواء
		نبش في التاريخ
38	أ.د. فوزي أحمد عبد السلام	تاريخ البلاهة

كلمات

48 رجال ونصف آدم شعبان

كاريكاتير

49 التحرير

أزاهير

50 الحبيب بلقاسم مواعظ قيمات في مواضع نيرات

القرآن والسمااء

52 د. نبيل غربال الثوابت الفيزيائية والتقدير الإلهي (2-2)

غمزة

56 محمد المعالج عن التواضع

فلسطين بوصلتنا

58 د.مصطفى يوسف اللداوي الخطاب القومي العربي بين التسامح وعقد الماضي

ترنيمات

61 سالم المساهلي ستكون نارا في ديار أبي لهب

حديقة الشعراء

62 البحري العرفاوي حلب

شخصيات

64 محمد العشي عبد العزيز الشعالبي

قبل الوداع

66 لطفي الدهواثي الرهان الأول: المسألة الاجتماعية

ألف تحية

69 التحرير نون النسوة في المقاومة الفلسطينية

أغاني الحياة

70 لطفي بوشناق وعبد الله مريش تحت السيطرة

إلى اللقاء

71 عميرات لا توصي يتيم على نواح

يصدر العدد 106 من مجلة الإصلاح وجرح حلب لا يزال طرياً ولا نظنه
يندمل بسرعة مادامت أشلاء أطفال سوريا ونسائها لم تحرك في العرب نكرة ولا
في العالم شعرة ولم نسمع لمنظمات الأمم المتحدة ولا لجمعيات حقوق الإنسان
العالمية ركزا.

يواصل المجرم قتل شعبه بدم بارد راجما إياهم ببراميل متفجرة لا تبقي ولا
تذر بمساندة مطلقة من الروس وصمت أمريكي وأوروبي مخز كشف عورة
الحضارة الغربية وأعلن انتهاء صلوحية القيم «السامية» التي بشرت بها أحداثها.
ما يحدث في سوريا بالخصوص وفي العديد من الدول العربية كاليمن
والعراق وليبيا - وما لقوى الشر العالمية من دور قدر فيه - يعبر بوضوح عن
أزمة تعيشها الإنسانية وانهايار لثقافة العولمة التي بشر بها الأمريكان ومن لف
لفهم كما يعبر عن عمق الأزمة التي تعيشها الأمة العربية الإسلامية ومدى
الانحطاط الذي أصبحت عليه . أزمة تدعونا إلى البحث عن بديل ثقافي شامل
يعيد للإنسان كرامته ويرفع رايته السلام في مواجهة الحرب والحوار في
مواجهة الصراع. ولكن كيف السبيل إلى طرح بديل ثقافي للعالم يقطع مع
الإفساد والفساد ونحن جزء من المشكل وشركاء في الإفساد والفساد مادامت
المعركة التي وقودها أطفالنا ونساؤنا وشبابنا تدور على أرضنا؟

يقول رجاء غارودي رحمه الله في كتابه وعود الإسلام « إن مهمتنا هو أن
نعقد الحوار من جديد بين حضارات الشرق والغرب لكي نضع حداً لمنولوج
الغرب الانتحاري». صحيح أن الغرب (فلسفة وسياسة) يقود العالم إلى نهايته
نتيجة كبريائه وجبروته وعشقه للسيطرة، ولكن أليس من الأجدر أن
نهتم بأزمته قبل الاهتمام بأزمة الحضارة الغربية؟ من أين لنا أن نعقد حواراً
بين الشرق والغرب ونحن نتخبط في عالم من الانحطاط والتخلف؟ وأي خطاب
يمكن أن نروج له هنا وهناك ونحن لم ننجز بعد إصلاحاً عميقاً في ثقافتنا
يزيل عنها عوامل التخلف ويفكك الجوانب المظلمة في تراثها لتتحرر منها
وتتجاوز مغلقاتها؟ ألم يحن الوقت بعد لننظر في المرأة لعلنا نكتشف «إعوجاج
رقابنا» قبل أن نتحدث عن إعوجاج رقاب الآخرين؟

« ليس من الممكن نيل الحرية والامساس
العرفاني والافلاص الافلاقي قبل أن يكون
نظام الحياة نظاما يمر الانسان من قيد المادية
ومن أسس الاقتصاد ومن الصراع. »

علي شريعتي

العودة الى الذات





فيسل العشي
«رئيس التحرير»
faycalelleuch@gmail.com

الثقافة التي نريد



لطبيعتها وواقعها حتى نستنتج المتاح للفعل فيها ومن ثمّ وضع التّصورات الممكنة والمرجوة لمشروع «الإصلاح الثقافي» حتى يكون مشروعاً واقعياً مخرجاته مقبولة وقابلة للإنجاز وليس نتاج ورشات أكاديمية باردة، عاجزة عن التّواصل مع مطامح الأمة وهمومها.

وأول عناصر عملية «الإصلاح الثقافي» هو تحديد ماهيّة الثقافة المرجوة بالإجابة عن سؤال: «أي ثقافة نريد؟» وهو ما سنتطرق إليه ببعض التفصيل في هذا المقال.

رأينا في المقال السابق أن تغيير واقع الإنحطاط الذي تعيشه الأمة العربيّة الإسلاميّة أمر في غاية الصّعوبة والتّعقيد وأنّ الخروج من نفق التّخلف لا يمكن أن يحصل إلاّ عبر إحداث تغيير كبير في ثقافة هذه المجتمعات حتى تتحرّر من العوامل المكبّلة لعملية نهوضها. وقد استقرّنا محطات من التاريخ لتأكيد الرّابط الإلزامي بين «الإصلاح الثقافي» وإمكانية التّقدّم والرّقيّ.

ورأينا كيف أنّ الاستعداد لعملية «الإصلاح الثقافي» يمرّ عبر إخضاع عناصرها للتّحليل والتّفكيك الدّقيق

الثقافة هي مجموع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير.

لماذا الإصلاح الثقافي؟

ولقد ارتأينا استعمال مصطلح «الإصلاح الثقافي» عوضاً عن «الثورة الثقافية» أو «التغيير الثقافي» لما لهذا المصطلح من إمكانية استيعاب البقية، فهو أشمل وأعم. فالإصلاح لغة هو نقيض الإفساد، والصالح ضد الفساد⁽¹⁾، أما اصطلاحاً فقد ورد «الإصلاح» بعدة معانٍ تصبّ جلّها في معنى «التبدّل والانتقال نحو الأحسن» وذلك عبر مقاومة الفساد ودحره، سواء بمعنى «الثورة» أي «التغيير الجذري» أو بمعنى التقويم الذي يعبر عن موقف يتجاوز كلّ من موقف الرّفض المطلق والقبول المطلق إلى موقف نقديّ قائم على أخذ وقبول الصّواب وردّ ورفض الخطأ.

ولأنّ مصطلح «الإصلاح» يستنبط مفهوم وجود فساد وخلل يستدعي العلاج وإزالة العيوب والعوج، فإنّ شعار «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا»⁽²⁾، ومفهوم «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَنْعْتُ»⁽³⁾ يجعل مهمّة الإصلاح مطلوبة باستمرار ودائمة في الزمن.

مفهوم الثقافة

لن نتحدّث هنا عن الثقافة بمفهومها السطحي الذي يتلخّص في مجموع ما ينتجه الإنسان/ المجتمع من فنون وموسيقى وآداب، فتلك تعبيرات الثقافة ومنتجاتها. وإنّما نتحدّث عن الثقافة بما هي «مجموع السمات المميزة للأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية، وتشمل جميع المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها، وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني، وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطرّاز الحياة، كما تشمل تطلّعات الإنسان للمثل العليا ومحاولاته إعادة النّظر في منجزاته، والبحث الدائم عن

مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته»⁽⁴⁾

فلكل مجتمع ثقافته التي تعبّر عن خصوصيته وهويّته، وهي حسب مالك بن نبي نتاج تفاعل الإنسان مع العوالم الأربعة المحيطة به وهي عالم الأشخاص (المجتمع) وعالم الأفكار (الدّين، التقاليد...) وعالم الأشياء (الصّناعة) وعالم العناصر والظواهر الطبيعيّة (الجغرافيا والمناخ). هي في إحدى وجوها صفات خلقية وقيم اجتماعية تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»⁽⁵⁾

الثقافة إذا هي نتاج تفاعل الإنسان مع العوالم التي تحيط به (خاصّة عالم الأفكار) والتي تحمل في ذاتها جانبا إيجابيا وآخر سلبيا وبالتالي فإنّ الثقافة بدورها ذات طبيعة ديناميكية متحوّلة، إذ تتجدّد باستمرار في الاتجاهين السلبي والإيجابي. فإذا اتّجهت نحو بروز

مشكلة الثقافة

تكمّن مشكلة الثقافة العربية الإسلامية في تعرضها إلى توجيه خاطئ من الدّاخل على مدى قرون من الزمن نفذتها بعض القوى السّياسية الحاكمة والقوى الفكرية والاجتماعية الموالية لها، ويتمثّل هذا التّوجيه في إبراز الجوانب السّلبية وتشجيع الأفكار التي تؤسّس للاستكانة والخمول وإبرازها لتصبح الميزة الرئيسيّة لسلوك المجتمع وبالتالي ثقافته، ممّا تسبّب في خلق هوة - كبرت بمرور الزمن - بين الأفكار البناءة والوسط الاجتماعي فأصبحت بلا فاعليّة ولا تأثير. كما تعرّضت هذه الثّقافة طيلة عقود إلى هجومات مدروسة من الإستعمار المباشر ثم غير المباشر عبر غزو ثقافي ممنهج لطمس خصائصها المميّزة ونقاط قوّتها.

ومفتاح المشكلة يكمن في تصحيح المسار وذلك بـ «وضع برنامج لتوجيه الثّقافة توجيهًا يتفق وسموّ الغاية التي ننشدها كعرب ومسلمين. ولا يتأتّى ذلك إلّا إذا قمنا بتصفيّة عاداتنا وتقاليدينا وإطارنا الخلقي والاجتماعي ممّا فيه من عوامل قتّالة ورمم لا فائدة منها حتّى يصفو الجوّ للعوامل الحيّة والدّاعية إلى الحياة» (6)

ولن تتأتّى هذه التصفية إلّا بفكر جديد قادر على فصل الثقافة العربية الإسلامية عن روايب الماضي المرتبط بالتّخلف والاستكانة وإبراز خصائصها الأساسيّة التي تميّزها وتجعلها مختلفة ومنفردة عن غيرها من الثّقافات لتصبح ثقافة قادرة على مواجهة الأخطار التي تتهدّدها والتّحديات التي تواجهها.

الثقافة التي نريد

إذاً يتطلّب الإصلاح الثّقافي «وضع برنامج لتوجيه الثقافة توجيهًا يتفق وسموّ الغاية التي ننشدها كعرب ومسلمين». ولكي نضع مثل هذا البرنامج علينا أولاً أن

الثّقافة العربية الإسلامية التي أنتجت حضارة قادت العالم لقرون عديدة هي نفسها - من حيث الجوهر والعناصر الأساسيّة - الثّقافة السّائدة في المجتمعات العربيّة المتخلّفة التي نعيش فيها اليوم، فأين تكمن المشكلة وما هو مفتاحها؟

الوجه السّلبّي وارتفعت أسهم الأفكار التي تؤثّر بوصفها عوامل مرض، فإنّ ذلك يؤدّي إلى إخفاق المجتمع ويصبح بذلك النمو الاجتماعي صعباً أو مستحيلاً. وبقدر بروز الجوانب المضيئة على حساب الجوانب السّلبية، بقدر ما تكون الثّقافة قوّة فاعلة من قوى البناء الحضاري. وبتعبير آخر، فإنّ الثّقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرّقي والتّمدّن وهي أيضاً المسلك الذي يؤدّي إلى التّخلف والانحطاط. وبالتالي يمكن أن تتحوّل ثقافة «القوة والبأس» وما تنتجه من نظام وانسجام وتناغم في المجتمع إلى ثقافة «الضعف والبؤس» بما تسببه من فوضى وصراع وتصادم داخل نفس الكيان، فيكون مآله التّخلف عن ركب الحضارة الانسانيّة. ولنا في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة خير مثال. فالثّقافة التي أنتجت حضارة قادت العالم لقرون عديدة هي نفسها - من حيث الجوهر والعناصر الأساسيّة - الثّقافة السّائدة في المجتمعات العربيّة المتخلّفة التي نعيش فيها اليوم، فأين تكمن المشكلة وما هو مفتاحها؟

نريدها ثقافة ذات منحنى إنساني تتخطى به المجال المحلي أو الإقليمي، إلى الأفاق العالمية، تجذر قيم الخير والعدل والتآخي والتسامح والتحابب وهي قيم إنسانية راقية توفر السلام والسلم للجميع وتحقق الرقي والتقدم والرفاه.

* الثاني أن فكرة الإنغلاق أصبحت مستحيلة عملياً بحكم تطور تكنولوجيات الاتصال والتواصل، فلم يعد بالإمكان غلق الحدود في وجه أي فكرة أو تعبير ثقافي صادر عن الآخر. إننا نعيش ظاهرة عالمية، عبرت واخترقت كلّ المواقع بما فيها بيوتنا، ويملك أصحابها من القوة والتنظيم والتخطيط والوسائل الإستراتيجية، ما يجعل الانزواء والتقوقع أمراً عقيماً ماله الفشل الذريع.

- نريدها ثقافة تدافع عن مبدأ التعدّد والتنوع في المجتمع الواحد وما يولد عنه من قبول للرأي الآخر ويزرّز القيم الحضاريّة التي نادى بها الإسلام كالحريّة وقُدسيّة حرمة الإنسان التي هي أصل من أصول هذا الدّين وأهمّ مقاصده.

- نريدها ثقافة ذات منحنى إنساني تتخطى به المجال المحلي أو الإقليمي، إلى الأفاق العالمية، تجذر قيم الخير والعدل والتآخي والتسامح والتحابب وهي قيم إنسانية راقية توفر السلام والسلم للجميع وتحقق الرقي والتقدم والرفاه.

نحدد الهدف والغاية: أي ثقافة نريد؟

- نريدها «ثقافة» ذات مرتكزات تستند إليها ومبادئ تقوم عليها، فلا تكون ثقافة منبثّة الجذور، لا هويّة لها تُعرف بها، ولا خصائص لديها تميّزها.

- نريدها «ثقافة» ذات أفق مفتوح ورؤية شاملة، لها استعدادٌ كاملاً في أصولها للتعامل والتفاعل مع الثقافات الأخرى وتشارك المشاركة الإيجابية المتفتحة أخذاً وعطاءً في تقدّم الحضارة الإنسانية. ثقافة قادرة على استيعاب تيّارات العصر ومواكبة تحولاته عربياً وعالمياً في التحديث والإنتاج.

لقد كانت الثقافة العربية دوماً - في عصور ازدهارها - منفتحة على الثقافات العالمية، ولأنّها الآن بصدد البحث عن طريق ترسم به للأمة نهضتها الجديدة، فهي في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى الانفتاح على مختلف الحضارات الأخرى لتفيد وتستفيد، مستغلة الفرص المتاحة لتقديم وجهها الحضاري الإنساني إلى العالم في صورة صحيحة واقعية صادقة بغية التفاعل الإيجابي مع مختلف الثقافات الأخرى.

لا نريدها ثقافة تدفع الذات إلى النكوص إلى مواقع خلفيّة للاحتماء بها، ثقافة منغلقة على ذاتها رافضة لكلّ تلاقيح مع الثقافات الوافدة علينا من كلّ حذب وصوب بتعلّة التّحصين لمواجهة الغزو الثقافي الأجنبي. وذلك لسببين:

* الأول أنّ التّنّاف (التبادل أو الاقتباس الثقافي) هو من طبيعة الانسان الذي يبتغي التطور «الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها»⁽⁷⁾، وهو سنّة الله في خلقه، خلقنا متنوعين ومختلفين لنتعارف ونتبادل المعارف والتجارب والمكتسبات وهو ما يطلق عليه بتلاقح الثقافات «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا»⁽⁸⁾

- نريدها ثقافة تأخذ بعين الاعتبار تراثنا الفكري الغزير والغني، تحيي وتبرز جوانبه المضيئة وتنتقد وتفكك جوانبه المظلمة لتتحرر منها وتتجاوز مخلفاتها. ثقافة تنبني على قراءة جديدة للتراث تقطع مع الفهم التراثي له على رأي المرحوم عابد الجابري «أي التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا للتراث، وعلى رأس هذه الرواسب القياس التّحوي الفقهي الكلامي في صورته الآلية اللاّعلميّة التي تقوم على ربط جزء بجزء ربطاً ميكانيكياً والتي تعمل بالتّالي على تفكيك الكلّ وفصل أجزائه عن إطارها الزّمني المعرفي الإيديولوجي»⁽¹¹⁾

المطلوب إذا نظر وتمحيص في تراث أمّتنا يقودنا إلى التّمييز بين ما هو «تراث فاعل»⁽¹²⁾ و«تراث خامل»⁽¹³⁾ و«تراث قاتل»⁽¹⁴⁾

وهذه النظرة لأقسام التراث، لا تتسم بالطابع السّكوني وإنّما هي نظرة حركية ديناميّة، تعاود النّظر إلى التّراث في ضوء مقتضيات الواقع وشروط صياغة النّظرة المستقبلية .. وقد تستجدّ في وعينا وواقعنا أمورٌ تجعلنا نعيد من توزيع الأقسام، فربّما طرأ على الواقع عنصرٌ جديد، يجعل البحث في جانبٍ معين من التّراث - نكون قد اعتبرناه تراثاً خاملاً- ضرورةً ملحّة وشرطاً لإحكام النظرة الواقعية والمستقبلية⁽¹⁵⁾.

- نريدها ثقافة تحرّر وانعتاق من التّبعيّة قادرة على القضاء على جميع آثار الاستلاب النّقافي والغزو الفكري الظاهر والمستتر الذي يظهر جلياً في عولمة ثقافيّة مدعومة دعماً محكماً وكاملاً بنفوذ سياسي واقتصادي واعلامي يمارسه الطّرف الأقوى في السّاحة الدّولية في هذا العصر. وتتمثّل هذه «العولمة» في فرض مظاهر الاغتراب اللّغوي والفكري والنّقافي وإغراق المجتمع العربي بمواد مناهضة للقيم النّقافية الأصيلة

**نريدها ثقافة اجتهاد وإبداع،
تهدف إلى ترقية وجدان
الإنسان، وتهذيب روحه،
وصقل مواهبه، وتوظيف
طاقاته في البناء والتّعمير.
ثقافة تقدّس العمل والعلم
وتجلّ العقل والعقلاء وتشجّع
على المبادرة والتميّز والإنجاز،
والمشاركة والابتكار
والتّخطيط الجماعي،**

- نريدها ثقافة تدافع، لا ثقافة تصارع، لأنّ الدّفاع سنّة الحياة «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ»⁽⁹⁾ و«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَیْمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»⁽¹⁰⁾، أما التّصارع، أو الصّراع، فهو مفهومٌ لا يعبر عن الطّبيعة البشريّة والفطرة الإنسانيّة وهو من المفاهيم المنبوذة في القرآن الكريم.

- نريدها ثقافة اجتهاد وإبداع، تهدف إلى ترقية وجدان الإنسان، وتهذيب روحه، وصقل مواهبه، وتوظيف طاقاته في البناء والتّعمير. ثقافة تقدّس العمل والعلم وتجلّ العقل والعقلاء وتشجّع على المبادرة والتميّز والإنجاز، والمشاركة والابتكار والتّخطيط الجماعي، وترسخ في الفرد حبّ الوطن والعمل من أجل الآخرين .

**نريدها ثقافة تحرر وانعتاق
من التبعية قادرة على
القضاء على جميع آثار
الاستلاب الثقافي والفزو
الفكري الظاهر والمستتر
الذي يظهر جلياً في عولمة
ثقافية مدعومة دعماً
محكماً وكاملاً، بنفوذ
سياسي واقتصادي واعلامي
يمارسه الغرب.**

(12) وهو ذلك الجانب من التراث الذي من شأنه أن يفعل، أو يمهد للفعل، في حاضرننا ومستقبلنا .. فإذا كنا نعيش عصر العلم، وننتهي لدخوله والمشاركة فيه، فإن التراث (الفاعل) في هذه الحالة هو التراث العلمي العربي (د. يوسف زيدان - التراث العربي من التثقيف إلى المثاقفة - www.ziedan.com)

(13) ونعني به ذلك التراث الذي فقد أهميته مع مرور الزمن واختلاف الأحوال الحضارية، وإن كان له في الماضي شأن عظيم أدى إلى اتساعه .. لكنه اليوم (خامل) بالنسبة لمقتضيات العصر، ومثاله في التراث العربي تلك التفاريع الكلامية (نسبة إلى علم الكلام) الطويلة التي لا تنتهي، والتي طال فيها الأخذ والرد بين المتكلمين، حول مباحث كالإمامة وعلاقة الذات الإلهية بالصفات. (نفس المصدر)

(14) ونعني به ذلك الجانب من التراث، الذي يؤدي إلى أذى بالغ، بالتكوين الفكري والعلمي -والحضاري بوجه عام - لهذه الأمة. ومن أمثلة ذلك الجانب (القاتل) من التراث: فنون السحر والشعوذة والتنجيم.. فهذا النوع من التراثيات من شأنه تخدير العقلية المعاصرة والإلقاء بها في متاهة الخرافة، ناهيك عن مبادئه لها عن الواقع والروح العلمية. (نفس المصدر)

(15) نفس المصدر

والعمل على تزييف التاريخ العربي والإسلامي وتغيير البناء الاجتماعي والعبث بالامتلاكات الثقافية وانتهاك المقدسات الدينية (العراق وفلسطين مثالا).

الخاتمة

هذه بعض ملامح الثقافة التي نريد والتي نطمح أن نحققها عبر مشروع «الإصلاح الثقافي» المنشود. غير أنه لا يمكن الحديث عن مثل هذا الإصلاح دون التفكير في الموارد البشرية التي ستنفذ هذا المشروع فنتساءل عن طبيعة العنصر البشري الذي ستوكل له مهمة الإصلاح وما هي ميزاته وهل يمكن أن يكون «المتقنون» الذين يملؤون الساحة الحالية قادرين على القيام بهذه المهمة؟ أم أنهم جزء من المشكل الثقافي الذي تعاني منه الأمة؟ وكيف السبيل إلى الارتقاء بهم إذاً ليكونوا في حجم المسؤولية الملقاة على عاتقهم؟ أسئلة سنتعرض إليها بالتفصيل في العدد القادم إن شاء الله.

الهوامش

- (1) ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2 / 516
- (2) سورة الأعراف - الآية 85.
- (3) سورة هود - الآية 88.
- (4) المنظمة العربية للتربية والثقافة - الخطة الشاملة للثقافة العربية - تونس 1990 ص 43 .
- (5) مالك بن نبي - مشكلة الثقافة - ترجمة عبد الصبور شاهين - دار الفكر - الطبعة الرابعة 1984 ص 71.
- (6) المصدر نفسه ص 71
- (7) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة
- (8) سورة الحجرات - الآية 13.
- (9) سورة البقرة - الآية 251.
- (10) سورة الحج - الأيتان 40 و 41 .
- (11) د.محمد عابد الجابري - نحن والتراث - ص 21 - المركز الثقافي العربي الطبعة 6 - 1993.



تجديد الفكر الديني...



يتطلب شجاعة غير عادية... وقرارات ثورية...
لا يمكن المبادرة بإصلاح ديني في التربية والتعليم
إلا إذا توفر لدينا رؤية واضحة للمسألة الدينية بكل
أبعادها...

على أعلى هرم السلطة.... ومن خلال المعهد
التونسي للدراسات الاستراتيجية، أن يتم تكوين وحدة
تفكير ديني مهمتها إعادة تحديد رؤية دينية للإنسان
والكون والحياة.... تساهم في ردم الهوة التاريخية
والنفسية بين الماضي والحاضر....

لمحاربة الإرهاب، لتنمية المجتمع، لمجابهة
البطالة، للقضاء على أمراض المجتمع.... لا بد من
التخطيط لاستراتيجيات تمس كل القطاعات....
ومنها قطاع الدين.

كل المهتمين بالشأن الديني يتفقون على أن البلاد
وشعبها بحاجة إلى فكر ديني يحقق ثنائية الأصالة
والحدثة. ووزارات التربية والشؤون الدينية تقوم
بمبادرات في اتجاه ارساء فكر ديني جديد، لكنها
مبادرات وهمية غير مرتكزة على أسس سليمة. الأمر

لمحاربة الإرهاب، لتنمية المجتمع، لمجابهة البطالة، للقضاء على أمراض المجتمع.... لا بد من التخطيط لاستراتيجيات تمس كل القطاعات.... ومنها قطاع الدين. كل المهتمين بالشأن الديني يتفقون على أن البلاد وشعبها بحاجة إلى فكر ديني يحقق ثنائية الأصالة والحداثة.

المسألة الجنسية، المرأة، العلاقات الاجتماعية، الحرية، الديمقراطية، الموارد، الحدود، العقل، الروح....

عمل استراتيجي دائم وجدّي يمرّ بعدّة مراحل: تنقيب وحفر في الذاكرة التراثية وجمع للخارطة الثقافية بكلّ مكوناتها المختلفة، تثير وتنشيط وتفعيل للرؤى والمضامين الايجابية، وترجمة النتائج إلى مقرّرات تربويّة ونصوص تعليميّة وخطط إعلاميّة واستراتيجيات في كافّة المجال، مع متابعة ومراقبة للنتائج، وتعديل لما يمكن تعديله...

مجموعة من المفكرين في الشأن الديني والعلوم الدينية، تتولّى في مرحلة أولى مراجعة العقيدة التي تترسّخ في قلوب الناس وتوجّههم طيلة حياتهم.... بحيث تتحوّل هذه العقيدة من عائق للانخراط الحضاري إلى محفّز على المشاركة الحضارية العالمية....

مجموعة من المفكرين تتولّى إحياء قذوات عمليّة إسلاميّة، والترويج لها والتسويق لصورها بالطرق الحديثة.... بشكل نقرب من الواقع المعيش للمجتمع....

مجموعة من المفكرين تعيد إنشاء الخارطة الدينية للمشاعر والمعلومات والعقائد في نفوس وعقول الناشئة.... ضمن رؤية احتوائية غير إقصائية....

مجموعة من المفكرين يخوضون بعمق تجربة التفكير الجريء والجدي والدخول الى كلّ المساحات الثقافية الإسلامية التي من شأنها التعبير عن كلّ المشاكل الاجتماعية وإيجاد الحلول لها.

تفكير يجنّبنا التفكير الظاهري النمطي الإقصائي، والتفكير العقلاني الجاف، ويسمح للروح باحتلال موقعها الحضاري كمحفّز ومنشّط لحركة الحياة..... ويجب على أسئلة جوهرية : الله، الإنسان، العالم، القضاء والقدر، العمل، الاقتدار الإنساني، الإرادة،

لا يمكن المبادرة

بإصلاح

في التربية والتعليم

إلا إذا توفّر لدينا

رؤية

للمسألة الدينية بكلّ أبعادها.

ديني

والتعليم

واضحة

بكلّ أبعادها.



أي مستقبل للمهندسة المالية؟



وحتى يَكُونُ جُهْدُنَا المعرفي هذا أكثر وضوحًا وأيسرَ فهمًا خاصّةً ونحن نتناول موضوعَ تَخْصُّصٍ غَيْرِ مُعْتَادٍ تناوُلُهُ، دعنا نفتحهُ بتعريفٍ للمهندسة المالية ومجالاتها والهدف المرجو منها نظريًا على الأقل حتى نقدر على التعاطي مع واقعها واستشراف مستقبلها.

I. ما الهندسة المالية؟

إذا انطلقنا من تعريف الدكتور سامي إبراهيم سويلم في كتابه «صناعة الهندسة المالية نظرات في المنهج» (مركز البحوث شركة الراجحي المصرفية للاستثمار الإسلامي» الصادر سنة 2000) والقائل

بعد ما لا يقل عن 150 عاما من ظهور الهندسة المالية وعلى وقع الأزمات المالية المتعاقبة التي ما إن لُمِمت جراح واحدة منها حتى برزت أخرى أشدّ منها فتكا وأعمق أثرا، انطلاقا من أزمة الكساد الكبير سنة 1929 مرورا بأزمة الثمور الآسيوية سنة 1997 وصولا إلى أزمة 2008 وعلى وقع ما حذر من وقوعه صندوق النقد الدولي قادم الشهور، يحقّ لنا أن نتساءل عن مستقبل الهندسة المالية خاصّة وأن كثيرا من الدراسات تربط ما بين ما يتعرض إليه النظام المصرفي والمالي العالمي عموما وما بين هذا التخصّص.

الهندسة المالية هي «التصميم والتطوير والتنفيذ لأدوات وآليات مالية مبتكرة والصياغة لحلول إبداعية لمشاكل تمويلية» قصد تحسين الاقتصاد الكلي الحقيقي عبر تحسين أداء وحداته الإنتاجية الجزئية (المؤسسات الاقتصادية) وجعل النظام المالي ذا كفاءة من خلال تخفيض تكاليف المعاملات

II. 2 - الأساس الأخلاقي

أمام اتساع الهوة بين ما دعت إليه الهندسة المالية من ابتكار سواء على مستوى تصميم أدوات التمويل وعملياته أو تطويرها أو على مستوى الحلول لمشكلاته وما انتظر منها من ازدهار وتقدم وبين ما نشأ عن التقليديّة منها من أزمت يطرح تساؤل لماذا؟ نحاول الإجابة عليه.

حين نعلم أنّ حجم الإنتاج الحقيقي للسّلع والخدمات لا يتخطى 18 % مقارنة بالحجم الجملي للعمليات الماليّة عبر العالم، نقف عند حقيقة الحالة الاقتصادية والماليّة لهذا العصر المتميّزة بالبون الشاسع ما بين دائرة الإنتاج ودائرة النّقد وهذه الحالة لما لها من آثار وخيمة على الاقتصاد وبالتالي على حياة البشريّة ومُستقبلها تفرض من جديد معرفة الأسباب.

وإذا انطلقنا من الابتكار كأهم ما يُميز الهندسة المالية يُمكن أن نصل إلى معرفة تلك الأسباب

ان الهندسة المالية هي «التصميم والتطوير والتنفيذ لأدوات وآليات مالية مبتكرة والصياغة لحلول إبداعية لمشاكل تمويلية» يمكن لنا الوقوف عند مجالاتها الثلاث :

- ابتكار أدوات مالية جديدة (سندات - أسهم - عقود مبادلة...)
- ابتكار عمليات مالية مُستتبطة تُخفّض من تكاليف المعاملات (التداول الإلكتروني للأوراق المالية...)
- ابتكار حلول على غير مثال سابق للمشكلات المالية التي تواجه الشركات (ابتكار استراتيجيات جديدة لإدارة مخاطر المبادرة الاستثمارية - ابتكار أنماط جديدة لإعادة هيكلة المؤسسات للتغلب على المشاكل القائمة...)

أما الهدف المرجو تحقيقه من خلال الهندسة المالية فهو نظريًا على الأقل تحسين الاقتصاد الكلي الحقيقي عبر تحسين أداء وحداته الإنتاجية الجزئية (المؤسسات الاقتصادية) وجعل النظام المالي ذا كفاءة من خلال تخفيض تكاليف المعاملات وبالتالي تسهيل تجارة السلع والخدمات وتبادلها وانتشارا لمُنتجات مالية جديدة مما تُساعِدُ الأسواق المالية على أن تكون أكثر تكاملا وكفاءة وأكثر سيولة...

II. الهندسة المالية التقليدية :

افتقاد للأسس

II. 1 - الأساس العلمي

انطلاقا من أنّ كل هندسة قائمة على قوانين علميّة كان من المفترض أن يكون قد تمّ اكتشاف القوانين الناظمة للهندسة الماليّة التقليديّة إلا أنّ واقع الحال يُخبرنا غياب قوانين علميّة صحيحة تقوم عليها هذه الهندسة رغم أنّها غنيّة بالتّقنيات والأدوات ممّا يجعلها تفتقر لأساس علمي تركز إليه.

فما حقيقة هذه المنتجات؟ أهى أدوات لنقل المخاطر (ما يُسمى بالتَّحَوُّط) أم هى أدوات مُجازفة (القائمة على الرهان والمُقامرة)؟ وما المقصود بالمشتقات أهو تبادل الملكية أم مُجرد مُخاطرة؟

بالاعتماد على المعطيات الإحصائية الواقعية، فإنَّ نسبة العقود المستخدمة بغرض المجازفة (القائمة على الرّهان والمُقامرة) بلغت 97 % من إجمالي العقود بينما لم تتجاوز أغراض التَّحَوُّط (وقاية الشركات والمؤسسات وتجنّبها المخاطر) 3 % مما يجعلنا نستنتج أنّ المجازفة هى الغالبة على المشتقات (الأزمة الاقتصادية العالمية من منظور الاقتصاد الإسلامي - عبد الكريم أحمد قندوز).

وتبعاً لذلك فإنَّ المقصود بالمشتقات فى هذا التّوجه التقليدي المتَّبَع ليس تبادل الملكية بل المُخاطرة بعينها وهنا الانحراف الكبير الذى وقع وأوقع الهندسة المالية التقليدية فى تعارض مع الأخلاق حين اعتمدت الرّهان والمقامرة على تقلّبات الأسعار لتحقيق أعلى قدر ممكن من الأرباح على حساب أهداف الهندسة المالية نفسها وعلى حساب منفعة المجتمع ككل بكل فئاته وعلى حساب المقاصد التنموية التى انتظرها طويلاً.

لقد باتت المُضاربة سيّدة الموقف (المضاربة على أسعار الفائدة) دون تطبيق معايير مخاطر السّوق.. وتحوّلت الأسواق المالية إلى فضاء مُزدحم بالمراهنات والمقامرات تُؤكل فيه أموال الناس بدون وجه حقّ ويروج للمعاملات فيه على أنّها علم إدارة المخاطر بأدوات مالية مبتكرة قام بتصميمها مهندسون ماليّون تقليديّون والهندسة المالية منهم براء.

كما تسبّب الابتكار المالي بالفلسفة التقليديّة فى زيادة الدّين لإمكانية الحصول على ما تريد فى وقت قصير ومن دون مقابل تقريباً ممّا أخلّ بالتّوازنات

لقد باتت المُضاربة سيّدة الموقف (المضاربة على أسعار الفائدة) دون تطبيق معايير مخاطر السّوق.. وتحوّلت الأسواق المالية إلى فضاء مُزدحم بالمراهنات والمقامرات تُؤكل فيه أموال الناس بدون وجه حقّ ويروج للمعاملات فيه على أنّها علم إدارة المخاطر بأدوات مالية مبتكرة.

دون أن نُحمّل الابتكار مسؤولية ذلك لأنّ الابتكار فى هذه الهندسة عمل محمود ما تحققت أهدافها فى رفع الكفاءة الاقتصادية والإنتاجية وبالتالي زيادة الرّفاهيّة.

فما الذى تَحَقَّقَ وأي ابتكارات أفرزتها الهندسة المالية التقليدية على امتداد العقود الماضية؟

ما هو معلوم لدى كل المراقبين والمحلّلين النمو المطرد للمشتقات المالية (ثمرة الهندسة المالية التقليديّة) الذى فاق نموّها أيّ أصول أخرى (مالية كانت أو ماديّة) إذ تجاوز حجمها 500 ترليون دولار سنة 2008 وهى فى ازدياد وهو ما يعنى أنّها أصبحت تنمو بشكل مستقل وغير خاضعة للنشاط الحقيقى المنتج.

هذا التضخم الهائل لحجم سوق المشتقات يجعل أيّ انهيار لهذا السّوق سيكون له تهديد مباشر للاقتصاد بأكمله وبالمُحصّلة تداعيات اجتماعية وإنسانية كارثية.

ينتظم التمويل الإسلامي ضمن مقاصد شرعية سابقة درءا لوقوع الأزمات وليست لاحقة لها كما هو حال التقليدي، كحفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العرض وحفظ المال وحفظ العقل وهي مقاصد تضبط إيقاع عمليات ابتكار أدوات وآليات التمويل الإسلامي وكذلك حلول المشاكل المالية

وآليات التمويل الإسلامي وكذلك حلول المشاكل المالية التي تعترض المؤسسات الاقتصادية والمالية وكذلك الأسواق كما تهدي إلى هدف آخر ظلت عنه الهندسة المالية لتمام مكارمها ألا وهو بلغة العصر المقاصد التنموية من حرية وصحة وعلم وتشغيل وغذاء.

لذلك يحترم التمويل الإسلامي قوانين الحفظ فهو يقوم على مبدأ تحريم الربا بحكم مخالفة فكرة الربا لهذا القانون الطبيعي الصحيح الذي أقره العلم الحديث نظرا لأن الربا لا يحفظ قيمة المال بل يزيدها دون أن يشترط منتجا إضافيا.

إن طرفي عقد التمويل الإسلامي وبالروح الإسلامية القاضية بأن يحب كل طرف فيه لأخيه الطرف الثاني ما يحب لنفسه يكونان متناظرين فيتحقق ما يستلزمه حفظ المال من تناظرية وما يقتضيه قانون الحفظ من تناظر عبر الزمن.

لذلك يمكن أن نخلص للقول أن التمويل الإسلامي

وأحدث الاضطرابات وغذى الأزمات.

وتفاعلا مع كل تدهور حاصل توضع ضوابط تشريعية لاحقة للنظام المصرفي تكون عادة أكثر صرامة كالذي حدث على إثر الأزمة التي عاشتها النمرور الآسيوية سنة 1997 والتشريع الذي أقره الكونجرس الأمريكي ومنع الجمع بين نشاط البنوك الاستثمارية التي تنطوي على مخاطر عالية وبين نشاط البنوك التجارية التي تواجه مخاطر تهافت المودعين على سحب أرصدتهم على إثر الكساد الكبير سنة 1929 قبل أن تُسنّ تشريعات أكثر مرونة في نهاية التسعينات منها السماح بالجمع بين النشاطين مما ساعد على الانفلات الحاصل منذ ذلك الحين.

وبافتقارها للركن العلمي وبهشاشة قاعدتها الأخلاقية وضعف إحساسها الاجتماعي يُمكن فهم إخفاق الهندسة المالية التقليدية في تحسين الاقتصاد الكلي الحقيقي وجعل النظام المالي أكثر كفاءة وتتالي الأزمات مما يجعل مستقبلها رهين مراجعات تقوم بها خاصة على مستوى الخلفية الفلسفية والمنطلقات الفكرية والمضامين الثقافية الموجهة لها.

وأمام هذه النتائج التي تعكس محدودية الهندسة المالية التقليدية وأمام إيجابية الهندسة المالية القائمة على الابتكار والهادفة لتحسين الكفاءة الاقتصادية والمالية لا يسعنا إلا أن نبحت على إتمام هذه المكارم.

III. الهندسة المالية الإسلامية :

أساسها علمي ومقصدتها تمام المكارم

ينتظم التمويل الإسلامي ضمن مقاصد شرعية (ضوابط سابقة درءا لوقوع الأزمات وليست لاحقة لها كما هو حال التقليدي كما بينا سابقا) كحفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العرض وحفظ المال وحفظ العقل وهي مقاصد تضبط إيقاع عمليات ابتكار أدوات

أما فيما يخص إسهام الهندسة المالية الإسلامية في تحقيق المقاصد التنموية وخاصة أهداف الألفية السبع عشر للأمم المتحدة في ظلّ تحديات تحقيقها في البلاد النامية بما فيها تونس وعلى رأسها تحدي تعبئة الموارد المالية، يمكن الاعتماد على ما ذكر من مُخرجات ملتقى صفاقس الدولي الرابع للمالية الإسلامية تحت عنوان «الهندسة المالية الإسلامية بين الضوابط الشرعية والاستحقاقات الربحية والمقاصد التنموية» الذي انعقد يومي 27 و28 أفريل 2016.

فقد اعتبر الملتقى مُنتج الصّكوك أداة مالية مُبتكرة لخدمة التنمية نظرا لدورها في تعبئة الموارد الضرورية على أن تكون ضمن التزام بالمبادئ الحاكمة لأصول الفقه وقواعده مع تجنّب الحيل وتركيب العقود والتّحايل على المحرّم.

وعلى أن تكون طويلة الأجل وبهدف تطوير المشاريع وإيجاد الضمانات الصّحيحة لتشجيع المشتركين وتوفير البيئة المشجّعة على تمويل المشاريع كلّ ذلك مع تطوير سوق رأس المال وتمكين المستثمرين من بيع هذه الصّكوك.

تعتبر الصّكوك أداة مالية مُبتكرة لخدمة التنمية نظرا لدورها في تعبئة الموارد الضرورية على أن تكون ضمن التزام بالمبادئ الحاكمة لأصول الفقه وقواعده مع تجنّب الحيل وتركيب العقود والتّحايل على المحرّم.

علم بحكم أنّه يقوم فيما يقوم على هذا القانون لئقر تباعا أن للهندسة المالية الإسلامية أساس علمي.

وفي هذا السياق يمكن القول أنّ الهندسة المالية الإسلامية هي علم ينسجم مع القوانين الطبيعيّة التي اكتشفها العلم وبالتالي هي بصفّتها الإسلاميّة تنتظم ضمنها.



**صدر في أواخر شهر أفريل
الكتاب الثالث عشر
من سلسلة «كتاب الإصلاح»**

**«بل علمني كيف أفكر»
بقلم : الحادي بريك**





نوفل سعيّد
«حقوقى و كاتب عام»
رابطة تونس للثقافة والتعدد
naousai@yahoo.fr

في أسباب الأزمة أصل الأزمة الساسية و الاجتماعية المراهنة



(2)

مصدر هذه المراهنة هو تأسيس الشرعية الوطنية لا على شرعية الأصول- العبارة لكارل دويتش- (مسك الحاكم للسلطة بناء على أحكام سابقة الوضع كالدستور) وإنما على شرعية الكاريزما والنضال التحريري (بورقيبة).

(3)

مع مرور الزمن تبين عجز الدولة عن القيام بالأدوار القيادية التي أسندتها لنفسها مما أدى الى تآكل منسوبها الرمزي لدى الجماهير التي أضحت تطالب بشرعية جديدة هي شرعية الإنجاز بدلا عن

أصل الأزمة الساسية والاجتماعية التي نعيشها اليوم في تونس تكمن في كون المجتمع لم يعد يقبل / يستطيع أن يستثمر نفسه (يعيد انتاج نفسه) ضمن المنظومة القيمية القائمة.

أسباب هذا العجز متعددة:

(1)

المراهنة طيلة عقود طويلة على الدولة الحديثة بشكل كلي باعتبارها أداة ساهرة على قيادة المشروع الوطني وعلى تحقيق الاندماج الاجتماعي بما يعنيه ذلك من تقليص واسع النطاق للمنظومات القيمية الأهلية.

**مع مرور الزمن تبين
عجز الدولة عن القيام
بالأدوار القيادية التي
أسندتها لنفسها مما أدى
الى تآكل منسوبها الرمزي
لدى الجماهير التي أضحت
تطالب بشرعية جديدة
هي شرعية الإنجاز بدلا
عن شرعية الأصول.**

شرعية الأصول وتزامن هذه المطالبة مع تآكل الدور الاقتصادي القيادي للدولة لصالح الرأسمال المحلي المنشغل أساسا بالربح بدلا عن التوزيع العادل للثروة.

(4)

انخراط الدولة الحديثة في مشاريع تنموية مملاة من الخارج (الإصلاح الهيكلي) لا تخدم بالضرورة الاحتياجات الوطنية أدى في جملة ما أدى إليه الى تهميش قطاعات شعبية واسعة وساهم بشكل فعال في تآكل مخزون الدولة الرمزي كأداة محفزة للإندماج الاجتماعي بل أصبحت معه الدولة تعني لدى الكثيرين آلة كبيرة تنتج الإقصاء (أنظر مثلاً فشل المنظومة التربوية في تحقيق الصعود الاجتماعي بعد أن كانت القاطرة التي تحقق هذا الصعود).

بالتبعية أصبحت الدولة في عيون الكثيرين عبئا على نفسها وعلى المجتمع.

(5)

بالموازاة مع الشعور بالتهميش، أدى عجز الدولة في قيامها بدورها الاقتصادي الإدماجي وضمور دور المنظومات القيمية الأهلية عن القيام بهذا الدور - في حدود نطاقها - نشأ شعور عميق من نوع آخر لدى قطاعات واسعة من المواطنين يتمثل في فقدانهم للشعور بقيمتهم الخاصة. هذا الشعور يجد مصدره في ما أسماه الفيلسوف الأميركي رولز «بالأساس الاجتماعي لاحترام الذات» (انظر منسوب العدوانية العالي الذي يشهده الشارع التونسي مثلاً) الذي يسمح للمواطن بالتشبع بالشعور بقيمته الخاصة كجزء من كيان اجتماعي واسع يسعى الى تحقيق مفهوم مشترك

للخير جدير بأن يسعى جميع المواطنين كل بحسب موقعه الى تحقيقه.

أليست العدوانية في أصلها و مصدرها مؤشرا على غياب الأساس الاجتماعي لاحترام الذات بما يعنيه هذا من غياب للشعور بضرورة مساهمة الجميع في مشروع اجتماعي مشترك يقوم على السعي الجماعي لتحقيق الخير العميم لكل الأفراد؟ أليست اللامبالاة بالآخر وعدم الاكتراث بالحق الضرر به - التي نشعر بها اليوم بشكل حاد - دليلا على هذا الغياب - غياب اعتراف - بحسب عبارة المفكر الألماني اكسال هونيث - المواطن ببقية المواطنين كشركاء أكفاء جديرين بالاحترام باعتبارهم يسعون جميعا لتحقيق الخير العام.





بشير ذياب
«أستاذ»
bechir_dhieb@yahoo.fr

العرب والسياسة... تأهيل غرف القيادة.



خريفًا إسرائيليًا، هو قبل كلّ شيء زلزال في الوعي العربي، سيعيد تشكيل خارطة العالم من جديد وأيًا كانت قوّة المخابرات الغربيّة وجيوشها وأسلحتها الوحشيّة والناعمة لن تتحكم في مآلات هذا الزلزال بقدر ما ستتحكّم به الطّريقة التي سيعاد من خلالها تشكيل الوعي العربي بعيدا عن حسابات الرّبح والخسارة بالمفهوم الغربي لأنّ الخلفية العربية التي تدار من خلالها الحرب في سوريا والعراق واليمن مختلفة تماما عن الخلفية العربية، فالهدف الذي تدار من أجله الحروب بالنّسبة للغرب هو الإنسان أو المواطن الغربي وبالتالي رفاهيته ومتعته وكرامة عيشه، هذه المعايير وغيرها المتعلّقة بالإنسان الغربي هي التي ستحدّد مدى تحمّل الغرب وقدرته على خوض المعركة وعلى قدرة التّحكم بخيوطها، أمّا بالنّسبة للهدف من المعارك العربيّة فإنّها السّلطة، أمّا عدد القتلى من البشر فهو تفصيل لا تجده إلّا في كتب التّاريخ وتجده أيضا رقما مبهما مثل « قتل فيها خلق كثير»، يقول ابن كثير مثلا في كتاب البداية

لا تزال الشعوب العربيّة وتحت وطأة التسلّط السياسي التاريخي تعاني من تشوّهات في تعريف مفاهيم مصطلحات السّلطة والدّولة والمواطنين والرّعايا والحقوق والواجبات...، هذه المفاهيم السياسيّة والإجتماعيّة والفكريّة لا يمكن أن تنرسخ من تلقاء نفسها لدى العامّة، أو بمبادرات فردية أو جمعيّاتية، وإنّما يفترض أن تكون النّخب السياسيّة والفكريّة والثقافيّة هي القاطرة لأيّ حركة حضاريّة إجتماعيّة لأنّ المجتمعات لا ترتقي حضاريّا من تلقاء أنفسها، وإنّما يكون رقيّها بقيادة نخبها، لذلك نجد التّاريخ العربي حافلا بتدجين وهرسة النّخب من المفكرين والمبدعين من غير المؤمنين بقداسة السّلطة.

بعد موقعة « شارع بورقيبة» هذا الفاعل التاريخي أيّا كان تعريفه، ثورة أو إنقلابا أو ربيعاً عربياً أو

لا يمكن تحقيق النهضة الإنسانية بمجالاتها الفكرية والعلمية والثقافية والفنية ... دون أن يكون الإنسان كقيمة ثابتة هو محورها الأساسي في إنتاج مآلاتها ولا يمكن للإنسان أن يكون قادرا على الإنتاج الحضاري دون أن يكون حرا

السلطة والتحكم برقاب الناس طوعا أو هم كارهون، سواء من الإسلاميين أو من اليساريين الذين لا يقل تاريخهم بشاعة عن الإسلاميين، فقد أثبت التاريخ أن الشعارات التي رفعوها في ثوراتهم تنكروا لها بعد أن وصلوا للسلطة وكانت إشتراكية في الفقر للمواطنين وسيارات فارهة وبذخا للحكام إلا أن في بلادنا بدأت السيارات الفارهة وهم لا يزالون في المعارضة.

لا يمكن تحقيق النهضة الإنسانية بمجالاتها الفكرية والعلمية والثقافية والفنية ... دون أن يكون الإنسان كقيمة ثابتة هو محورها الأساسي في إنتاجها وفي مآلاتها، ولا يمكن للإنسان أن يكون قادرا على الإنتاج الحضاري دون أن يكون حرا طليقا محترما آمنا في نفسه وماله وأهله...، ولا يمكن أن يتحقق هذا صدفه، بل يتطلب قيادة سياسية قادرة من خلال برامجها الإستراتيجية على تحقيق هذه البنى التحتية الثقافية والفكرية والاجتماعية في كوادرها وإطاراتها أولا ثم في منتسبها لتكون بعد ذلك قادرة على قيادة مرحلة أخرى من حياة الشعب العربي تونسيا كان أو ليبيا أو مصريا... بفكر جديد وثقافة جديدة متجردة من الموروث المشوه للحكم والسلطة.

والنهاية عن موقعة الجمل بين علي وعائشة، «... وجعلت الحرب تأخذ وتعطي، فتارة لأهل البصرة وتارة لأهل الكوفة، وقتل خلق كثير وجم غفير، ولم تُرِ وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة، وفي موقع آخر يقول عن نفس هذه المعركة، وقد قدمنا أن عدد القتلى نحو من عشرة آلاف، وأما الجرحى فلا يُحصون كثرة... إنتهى» أريد فقط أن أشير أن قادة الجيشين المتحاربين وجنودهما هم من الصحابة أي تخرجوا من أرقى مدرسة لحقوق الإنسان عرفها التاريخ/ مدرسة محمد، والإشارة الثانية أن أسلحتهم كانت أسلحة مؤمنة سيوفا ورمحا وخناجر، فماذا لو توقرت لهم أسلحة متطورة كافرة أمريكية أو روسية ؟

يومها كان أحد الجيشين على حق والآخر على باطل، ومن كان منهما على باطل لا يمكن أن يكون قد خاض الحرب من أجل مصلحة المسلمين بل من أجل السلطة والقبيلة. ومن يواصلون نفس تلك الحرب اليوم كلاهما على باطل لأنها فتنة يحرك خيوطها شياطين الإنس شرقا وغربا يستثمرون في دماننا وأسلاننا لأنهم قرؤوا تاريخنا وخبروا مواقع الخلل في وعيينا وإدراكنا فزادوا على جروحنا ملح المذهبية والتكفير .

عندما أقرأ عن موقعتي الجمل وصفين أحس حقيقة بالإكتئاب، ولذلك فإننا لا نستغرب الوحشية التي نراها اليوم، ولكن ما نستعربه هو أن من ينظر لهذه البشاعة في الإستهانة بأرواح الناس هو من يدعي أنه الطرف الوحيد المحتكر للديمقراطية والحدثة والمدافع الحصري عن حقوق الإنسان، وفي الغرف المظلمة لا يرى مانعا من سحق عشرين ألفا من مواطنيه كي يزيح منافسه من السلطة ليتربع هو على عرشها، لذلك قلت ولا أزال أن الأحزاب السياسية قبل المجتمع، يجب أن تخضع قاداتها ومنتسبها لمرحلة تأهيل نفسي طوعي، تسميه مراجعة أو مصارحة أو مطارحة لا يهم، المهم هو أن تجلس الأحزاب لتفتح تاريخ مرجعياتها الفكرية المثخن بالدماء من أجل



الإصلاح التربوي و أوهام المخطط الاستراتيجي القطاعي التربوي 2016، 2020



تعود جذور مصالحي «استراتيجيا» إلى المفكر الصيني «سان تزو» الذي أرشد القادة العسكريين من خلال كتابه «فنّ الحرب» إلى التخطيط في المعركة من أجل كسب النّصر. إلّا أنّ الجذور العسكريّة لمصطلح «استراتيجي» لم تمنع استخدامه في الأنشطة السّلمية، فنّم استلافه في السياسة وفي الاقتصاد وفي التّربية وفي الرّياضة. ويكفي أن أشير إلى تركيز المحلّلين في كرة القدم على استخدام عبارة «استراتيجية» لبيان خطّة الفريق وأسلوبه في اللعب. كما أنّ الاستراتيجية مرتبطة بالحديث عن «مواجهة ما» وهي من قاموس الشؤون العسكريّة ولكنها مناسبة لتعويض صراع المعارك الدّموية بصراع «معارك سلميّة» تُستخدم فيها فنون راقية.

أصدرت وزارة التربية وثيقة أطلقت عليها اسم «المخطط الاستراتيجي القطاعي التربوي 2016 - 2020»، ونظرا لأنّ المسألة ذات بعد مصيري للأجيال القادمة، فإنّني رأيت أنّ الواجب الوطني يقتضي منّي إبداء رأيي عسى أن أساهم في خدمة الأهداف العليا للبلاد... وهو رأي شخصي قائم على قراءة واعية ويبقى وجهة نظر نسبية.

ملاحظات حول الشكل

1 - هل هو مخطط استراتيجي فعلا ؟

يجب الإقرار بأنّ الوثيقة صادرة عن جهة رسميّة وهي وزارة التّربية وهو مخطّط قطاعي تربوي فعلا... ولكن هل هو مخطّط استراتيجي ؟

تتطلب الاستراتيجية ما يلي :

1. ضبط هدف (النصر في معركة - الفوز في مباراة رياضية - النجاح في مشروع - تحقيق نتيجة مؤملة - تدمير هدف معادي).

2 - تخير الوسائل المناسبة لربح المعركة أو لتحقيق الهدف وتصيّد الوقت المناسب للهجوم أو للدفاع .

أولاً: لماذا عطف البرامج على الأهداف والمبادئ؟ ولماذا الجمع في سلة واحدة ؟
ثانياً: ما هكذا يكون الترتيب بوضع المبادئ (بدل المداخل) ولماذا تسبق الأهداف؟
ثالثاً: لا مبرر لإدماج ثنائي المبادئ والأهداف مع البرامج.

رابعاً: من المفترض ألا يتم الخلط غير المبرر في مخطط استراتيجي لأن البرامج والمناهج أدوات تفصيلية للمنظومة التربوية وهي محتويات وليست أهدافاً والفرق شاسع بين الصنّفين (التمشيات والمضامين).

إن المشاريع والأدوات المقررة لتحقيق الأهداف الواردة في « المخطط التنفيذي » هي موجودة في المنظومة الحالية وهي غير فعّالة ولم تؤدّ إلى نتائج إيجابية وبالتالي فإننا تجاه تشخيص سطحي وتحليل يعوّم القضايا الشائكة ولا يعالجها .

تتطلب الاستراتيجية ما يلي :

1- ضبط هدف (النصر في معركة - الفوز في مباراة رياضية - النجاح في مشروع - تحقيق نتيجة مؤملة - تدمير هدف معادي).

2 - تخير الوسائل المناسبة لربح المعركة أو لتحقيق الهدف وتصيّد الوقت المناسب للهجوم أو للدفاع .

الخطأ المنهجي الرئيسي في المخطط الاستراتيجي

لقد وردت الأهداف الاستراتيجية للمخطط القطاعي بصفة لاحقة للأهداف العامة والمبادئ والمهام وملامح المتخرج وهذا يطرح سؤالاً حول المنهجية، إذ أنّ الرؤية السليمة تقتضي إدراج الأهداف الاستراتيجية وفق «السياسة التربوية العامة» لا المبادئ العامة فحسب وهذا ما يجعل من المصطلحات المستخدمة متداخلة ومتضاربة أحياناً. ولكن نجد تدرّجاً مختلفاً في الصفحة 88 يجعل الأهداف الاستراتيجية هي الأولى سابقة للأهداف العامة التي هي في الأصل تكون نابعة من خطة عامة وليست قطاعية... فبماذا يُفسّر هذا «التلاعب» بالمنهجية؟

مع التأكيد على أنّ السياسة التربوية العامة تتناول التعليم والتكوين المهني والتكوين المستمر والثقافة والشباب والرياضة والطفولة والمرأة والمسنين والاقتصاد والفلاحة والسياحة والصناعة ومن المفترض أن تتم صياغتها من «هيئة وطنية عليا» وليس عملاً قطاعياً محدوداً تسطره «الإدارة العامة للدراسات والتخطيط» بوزارة التربية في غرفة مغلقة وفي جلسة شبه خاصة لا تستدعي إليها إلا من ترضى عنه. ولماذا وردت تحت عنوان واحد جامع لها وهو « سياق المخطط القطاعي » ؟

- الأهداف والمبادئ والبرامج ص 64

- الأهداف الاستراتيجية ص 69

المثال الثاني: التشخيص الذي يفتقر إلى الصدق: ورد حديث في ص 21 عن الموارد البشرية في المرحلة الابتدائية وتحدث عن «الضبابية والارتجال» في انتداب المدرسين، في حين كان المنهج العلمي يقتضي ايراد جداول احصائية بنزاهة وشفافية تُبين أعداد المعلمين الذين تم انتدابهم والبحث في طرق هذا الانتداب وأسباب عدم إخضاعهم الى أي تكوين والزج بهم - مباشرة - في مهمة تتطلب تأهيلا ... أما أسلوب المغالطة والتّمويه من خلال عبارات فضفاضة فذلك يدفع إلى الاعتقاد بوجود «تسّر» عن جرائم ارتكبت في حق المنظومة التربوية وغياب الضمانات لعدم تكرارها.

المبادئ العامة والأهداف والغايات في المخطط الاستراتيجي القطاعي التربوي 2016-2020

وردت في الصفحة 66 المبادئ العامة وعددها (8) وهي نفسها الواردة في القانون التوجيهي 2002 ولا يوجد سوى مبدأ وحيد جديد وهو «حياد المؤسسة التربوية». فما معنى «مخطط استراتيجي» له نفس المبادئ العامة الواردة سابقا؟ .

أما رسالة المدرسة ومهامها، فقد وردت في الصفحة 67 وحدد عددها ب 12 وهي نفس المهام الواردة والمبثوثة في قانون 2002، فما المقصود من إعادة صياغة مهام المدرسة الواردة في قوانين سابقة؟ كما لا توجد إضافة نوعية سوى المهمتين التاسعة (توفر خدمات المرافقة الأساسية : صحية - نفسية - اجتماعية - ثقافية) والعاشر (توفر خدمات الإسناد الضرورية : نقل - مطاعم - مبيت) وقد كانت مثل هذه المهام سابقا مجرد حبر على ورق من خلال مشاريع تربوية كالمدراس ذات الأولوية التربوية وإدماج المعوقين والتنشيط الثقافي ... لم تخضع الى التقييم والى التشخيص ثم المساءلة لمنع تكرار الفساد.

«المدارس ذات الأولوية» مشروع فاشل لأنه مفضوش وأفرغ من محتواه «الاشتراكي الثوري» وبات عنوانا مخادعا لا مصداقية له وهو «استصلاح» ما تم إقراره سابقا سنتي 1991 و2002 وتميره دون مساءلة من تولّى «سوء التصرف» سابقا.

أمثلة

المثال الأول : الهدف الأول ص 82 «تحقيق مبدأ الإنصاف وتكافؤ الفرص» (ملاحظة: هذا مأخوذ من مشروع الاتحاد العام التونسي للشغل المدارس ذات الأولوية مشروع فاشل لأنه مغشوش وأفرغ من محتواه «الاشتراكي الثوري» وبات عنوانا مخادعا لا مصداقية له، كما أن التشخيص الوارد في ص 35 لهذه الخريطة ومميزات المدارس والتّمييز الايجابي هو «مخالف للواقع». إنّ المطّلع على ما ورد تحت هذا المحور يكتشف أن هناك إعادة صياغة لقانوني 1991 و2002 لا غير أي أنّ السياق هو «استصلاح» ما تم إقراره سابقا وتميره دون مساءلة من تولّى «سوء التصرف» سابقا وهو ما يعني وضع دستور الجمهورية الثانية وثورة الحرية والكرامة بين قوسين وكأنّ شيئا لم يكن.

المتأمل في الأهداف الاستراتيجية يلاحظ أنها تتداخل، فحينما تشير إلى إجراءات عادية يومية كالنصي لل فشل المدرسي وأحيانا تتطرق إلى موضوعات تتطلب خطة متكاملة مثل تطوير الحياة المدرسية.

المتأمل في الأهداف الاستراتيجية يلاحظ أنها تتداخل، فحينما تشير إلى إجراءات عادية يومية كالنصي لل فشل المدرسي وأحيانا تتطرق إلى موضوعات تتطلب خطة متكاملة مثل تطوير الحياة المدرسية وتطل علينا مرة أخرى بمقترح قديم جديد هو «إعادة هيكلة التعليم الثانوي والإعدادي»

ورد في الصفحة 80 من وثيقة المخطط الاستراتيجي القطاعي التربوي أنه سيتم « تعديل القانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي والنصوص الترتيبية المترتبة عنه» وبالتالي فإن ما يتم الحديث عنه كإصلاح ليس إصلاحا تربويا ولا يرتقي الى أن يكون «إصلاحا حقيقيا» ينظر في بدائل، بل هو مجرد استخدام أدوات «إيديولوجية» لمزيد ترسيخ خيارات النظام البائد التي صاغت أفكار يسارية متطرفة ثبت فشل مآلاتها ولكنها اليوم تُفسر فشلها الذريع بعوامل خارجة عن نطاقها. إنه خداع واضح يتعمد «إدخال تغييرات مضمونية» -

أما الصفحة 68 فقد تضمنت ملامح المتخرج وهي نفس الملامح الواردة في قانون 1991 وقانون 2002 ... فلماذا كل هذه المتاعب في نسخ وتغيير مواقع المصطلحات والمفاهيم ؟

الجزء الثالث: المبادئ والأهداف والواجب	
1	مواظب حر مقلع بالمان والقمم الواردة بالمستور:
2	أنا مبادرة وإقامة وبدوعة:
3	أنا على كحلل مسؤلية في الحياة والعمل:
4	أنا شمسية سوارية في أبعادا المعرفية والوجدانية والقيمية:
5	أنا كفاية القرن العادي والعشرين:
6	أنا قدر في قوته وسنفع على القيم الكونية:
7	أنا على التواصل الإيجابي مع مجتمعه:

المتأمل في هذه الملامح لا يجد فيها روح الدستور ولا نصوصه ولا الفصول 1 و 2 و 39 بصفتها وحدة منسجمة تقتضي إعدادا جديدا مختلفا عن الملامح الواردة في المنظومة التربوية السابقة

الأهداف الاستراتيجية متداخلة



1.4. الارتقاء بالبرامج والمناهج الوسائل التعليمية

المؤشر: نسبة الكتب المدرسية المعدلة (السنة الدراسية 2017/2016: العمل في السنتين الأولى والثانية من التعليم الابتدائي بكتب معدلة في القراءة والرياضيات)

وبالتالي فإنّ عملية تجارية واضحة جرت تحت الطاولة تمّ خلالها تكليف أفراد أو لجان في صيغة (مراكنة) حيث لا يوجد إعلان عن تأليف مدرسي ولا وجود لكراس شروط ولا توجد لجنة تقييم (يتم الاعلان عنها أو الإشارة إليها وتكون ذات مصداقية) وفق معايير معلومة تضمن تطابق مواصفات الكتاب المدرسي مع مواصفات الجودة الفنية والمضمونية بما ذلك احترام فصول الدستور 1 و 2 و 6 و 7 و 16 و 39 .

إن أسلوب تسريب التحويلات قطرة قطرة وبصفة سرّية لدليل على «تهافت» على المنظومة التربوية من أطراف إيديولوجية تعتقد أنّ الوقت ملائم لترسيخ القيم النسبية والسلبية، تحت عناوين حداثيّة زائفة، وفرضها على المجتمع الذي يتصوّرونه غافلا ومستسلما لمن نصبوا أنفسهم زورا وبهتانا «مصلحين تربويين».

لقد تحمّل الشعب التونسي بعد ثورة الحرية والكرامة وزر نفقات باهضة لإنشاء مؤسسات واعدة إنتاج دستور جديد ، ثباهي به ويباهي بنا ، يقطع مع الفساد والاستبداد أفما أن لمجلس نواب الشعب ان يضع حدّا لخطرسة الاستتصاليين ؟

إن أسلوب تسريب التحويلات قطرة قطرة وبصفة سرّية لدليل على «تهافت» أطراف إيديولوجية معيّنة على المنظومة التربوية معتقدة أنّ الوقت ملائم لترسيخ القيم النسبية والسلبية، تحت عناوين حداثيّة زائفة، وفرضها على المجتمع الذي يتصوّرونه غافلا ومستسلما.

مشكوك في احترامها للدستور - لترسيخ التوجهات الحزبية على حساب المنظومة التربوية.

استمعت إلى وزير التربية في تصريح تلفزيوني وهو يتحدث عن « كتب مدرسية جديدة» ستكون جاهزة في مفتتح السنة الدراسية القادمة 2017/2016 وذلك بالنسبة للسنتين الأولى والثانية من المرحلة الابتدائية... فلم أصدّق نفسي وظننت أنّي فقدت التركيز فأعدت الاستماع أكثر من مرّة وتأكدت أنّ التصريح صحيح وما عليّ إلا أن أصدّق أو أشرب من ماء البحر.

ولمزيد اليقين تصفحت الوثائق الصادرة عن وزارة التربية، فعثرت عن الجواب الشافي في ما يُسمّى المخطط الاستراتيجي القطاعي التربوي 2016-2020 فوجدت في الصفحة 127 من النسخة الالكترونية ما يلي :



**حتى
لا ننسى**

8 ماي 1945

**مجازر كبيرة في الجزائر
راح ضحيتها حوالي 45000 قتيل
«داعش الفرنسية»**





لم تنفلت ناعورة الهواك



اندفاع. وفي حركتها المترددة، متسارعة أحيانا ومتخاذلة أحيانا أخرى، لم تنس الناعورة ممازحة زائرها العنيد المتشدد لعلّه بلغها من النّسائم المواتية مأساته وخياله، فقبل أن ينصرف ركلته على مؤخرته ساخرة منه، ونقش الزّمن هذه الواقعة بتصرف عن الكاتب الاسباني «ميغيل دي سرفانتس» عبرة للأجيال التي تعلمت القراءة واختارت ما تقرأ واستفادت ممّا تقرأ.

ناعورتي هوائية في زمن الطّاقات المتجدّدة. فهي أقدم من الطّاقات القديمة وحديثة حدثت انزعاجنا من

وقفت أتأمل ناعورة الهواك مستحضرا الفارس المهبوس «دون كيشوت» بطل إحدى روائع الأدب العالمي، عندما راح الفارس الحالم يقاتل كلّ من اعترضه وخالفه الرّأي وعارضه. ها هو تحت خوذة مميزة كما صورته بعض المبدعين وقد ركب حصاناً هزياً يصارع ناعورة الهواك متسلّحاً برمح وسيف ومدرّعا بالقديم ممّا خلفه له أسلافه. حارب «دون كيشوت» بسيفه ورمحه أشدّ ناعورة الهواك التي لم تكثر به وواصلت انسيابها مع النّسائم تعدّل واجهتها نحوها لتحصل على أكبر صفقة لأكثر

**إذا ما أمكن لدون كيشوت
الرجوع إلى صوابه، فمتى
يعترف طحّان اليوم بخطئه
ويبعد عنه أشباح الجهل التي
تسرّبت إليه من القراءات
البغيضة التي أظلمت عقله
وعقلته حتى بات في العتمة
يصارع الوهم والخيالات.
ومتى يحين الوقت لقراءة
كتب أخرى تنير الرّوح وتغذي
القلب وتقوي الجناح**

فيا خسارة التعب ويا خسارة الحبّ.

ما أكثر طحّاني هذا الزمان ! لا عفوا، الزّمان
يُطحن ولا يُطحن. فأقول إذا ما أكثر في هذا الزّمان
من أمثال «دون كيشوت» ! عفوا مرّة ثانية، فهذا
الأخير لم يدّع معرفة لا بالطّواحين ولا بدواليبها.
وما كانت معركته مع ناعورة الهواء إلّا دفعا لشرّ
يجهله في حين لم يخض من ادعى الحكمة معركة
إلّا لإثبات شجاعة وتخليد اسم. وعلى قدر الطّحين
تزدهر الطّاحونة. فأصحّ إذا وأقول : «كثرة بلا
بركة وطواحين بلا طحين».

إذا ما أمكن لدون كيشوت الرجوع إلى صوابه،
فمتى يعترف طحّان اليوم بخطئه ويبعد عنه أشباح
الجهل التي تسرّبت إليه من القراءات البغيضة التي
أظلمت عقله وعقلته حتى بات في العتمة يصارع
الوهم والخيالات. ومتى يحين الوقت لقراءة كتب
أخرى تنير الرّوح وتغذي القلب وتقوي الجناح.

التّغيرات المناخية والهوس الذي أصاب النّاس من
المخاطر المتوقّعة التي قد تصدر عنها. ناعورتي
الهوائية عاد ألقها القديم لتتربّع من جديد على
الرّوابي وبالسّهول وعلى سطح البحر وقد نصبت
شراكها للرّياح تلتقطها مواتية من حيث أتت. تجدد
أشروعها من زمن لآخر ومازالت الرّياح نفسها تنفخ
في ألواحها لتولد الكهرباء وتضخّ ماء النّهر للرّي
والارتواء ولطحن الحبوب.

ولكن ناعورة الهواء التي وقفت عندها وأتحدّث
عنها اليوم كانت تشغل طاحونة أصبحت تنن ويخشى
عليها منذ سنين انفلات مغزلها الذي لم يتمّ تشحيمه
منذ زمن طويل. ناعورة الهواء اليوم طاحونة القلوب
الحية والطّيبة طيبة حبّات قمح صفراء ذهبية نقية
المعدن من سنبله مباركة حبلية بمائة حبة. كان في
ما مضى يديرها طحّان ماهر لا يدفع في الرّحى من
قمح إلّا ما صفى صفوه ونقى معدنه.

الدوام يذيب الصّخر، هكذا تهرّأت الطواحين
وتعبت مغازلها واعوجت من فرط الصدمات. طحّان
اليوم لم يتسلّح بما يلزم من حكمة رغم كلّ ما قرأ من
علوم ورغم نصائح من حوله. وجد نفسه يصارع
الأوهام طفلا يركض خلف ناعورة آلت إليه لعبة دون
سواه، يزهو بها وحده إذا ما نفخ فيها الرّيح ويصيبه
النكد عندما تخذله ناعورته فلا تدور رغم ركضه
الطويل والجراح التي أنخت مرفقيه وركبتيه. أبت
الناعورة إلّا أن لا تلفّ لفّة. كيف تدور وقد انفلتت
من محورها. ولم يلق صاحب النّاعورة ممّن حوله
إلّا ما لقيه «دون كيشوت» في معركته التي شنها
على الأغنام ظنّا منه ينشر الحقّ والعدل. وما خرج
فارس لمعركة إلّا ليشيع القيم النبيلة التي تشبع بها

لم يهتد الطحّان إلى الحقيقة ودارت ناعورة الهواء
وارتفع أزيز دواليبها يصمّ الأذان، ولكن الحبّ الذي
بلغ موضعه في الرّحى تسرب مشطورا دون طحين.



أ.د. فوزي أحمد عبد السلام
« أستاذ ديناميكا الفضاء، جامعة القاهرة »
f.a.abdelsalam@gmail.com

تاريخ البلاهة



الأوطان صارت منازل تستبدل بحفنة نقود بحثاً عن منزل أرحب أو فندق تنتهي إقامتك فيه بنهاية حجزك له. يا سادة من يبتاع منزلاً لا يشتري تاريخ ساكنيه، لكن وفي نفس الوقت حين يتحوّل البائع إلى مسكن آخر يظلّ جزءاً عظيماً من تاريخه لا ينفك عن إحداثيات ذلك المسكن المبتاع من هذا الكون العظيم. نزل الإنسان إلى الأرض ولم يكن في يديه صلّة بملكية أي بقعة منها، لكنه في الوقت نفسه كان يشعر بوجود ميثاق بداخله أنّ هذه الأرض كلّها سخّرت له وأنّه مالكها بالفعل، أنّه منها وهي منه. ولفض النّزاع بين بني البشر كان لابدّ من وجود قانون يحمي الإنسان من بطش أخيه الإنسان، فلم يكن ثمة إلا

عن «تيران» و«صنافير» أتحدث، أتذكّر، أحلم، أتألم، أنزف، أعطيت مقالي عنواناً غريباً نسبياً وهو «تاريخ البلاهة» لأنّ ذلك يؤرّخ لعصر إنتاج البلاهة وسيادة التّفاهة وفشو الغباء وتوزيع الجهل الذي يراد لنا أن ننزل بساحته بل نحياه بكلّيتنا بأن نتنازل إن طوعاً أو كرها عن جزء غال وعزيز من جغرافيا وتاريخ الوطن والتي هي أعزّ من جغرافيا وتاريخ الجسد الفردي، فجغرافيا الوطن هي تفاصيل الجسد الجمعي وتاريخه تفاصيل الذاكرة الجمعيّة للأمة، والتي كتبت ملاحمه بدماء المخلصين وآهات التكالّي والأرامل وأنات الأطفال اليتامي، ويتصرف فيه العملاء كأنّه التركة التي ورثوها عن ذويهم. وكأنّ

من أسوأ إفرازات عصر تكنولوجيا المعلومات والإتصال الذي نعيشه، هو بث ثقافة هشّة ومنمّطة وموحّدة تعلي قيم المنفعة والربح وتميت قيم التأمّل والإبداع والنقد والتحليل داخل الإنسان، تنعكس على سلوكيات وتصرفات الأفراد وعلاقاتهم

عبد المنعم سعيد رئيس عمليات الجيش المصري الأسبق «الجزيرتان مصريتان مفيش كلام» وبعد أربع وعشرين ساعة «الجزيرتان سعوديتان مفيش كلام» ... إلى آخر هذه الأخبار التي تؤسّس لتاريخ البلاهة والتي ينبغي مقاومتها بكلّ السبل كما أكد جيل دولوز [3]. يقول ديوجين «ما لديه من عظيم يظهره» أما عصر البلاهة فعنوانه «من كان لديه سفه فليظهره» وسوف نصقّ له وسوف نحشد له من الأدلّة ما يؤيّد. من ذلك السّفه بيع الأوطان في الظلام وإعلان حظر الكلام بل ووجوب النسيان وتحويل الإنسان إلى ما هو أقلّ من الكائنات الأولى البسيطة يستقبل فقط ولا يرسل، عليك أن تسمع فقط بل ولكائن واحد فقط. ولم يكن هذا الوطن إرث من خلفه -إن كنا ندري حقّا من خلفه- الوطن ليس ترابا وإن كان تراب، ففي هذا التراب ذرّات أجساد الأجداد الذين رووه بالدم، أنفاس كفاحهم، تطلّعاتهم إلى تحريره، آمالهم في ازدهاره، تأملاتهم في قمره وسحابه، في صخوره ورماله، في بحره وشعبه حتى

قانون الإحياء، فالأرض لمن يحييها «من أحيا أرضا بوارا فهي له» [1] وليس الإحياء هو الزراعة فقط كما يتوهم البعض بل هو عنوان عام لكلّ مظهر من مظاهر الحياة، يبدأ تاريخ الإحياء من بسط السيطرة الحقيقيّة بالسيادة ومن ثمّ الحماية المتواصلة بدماء المخلصين ومدّ العمران إليها بأيدي علمائها وعمالها وإقامة المجتمعات فيها لكي تبدأ فيها مظاهر الحياة.

لكن بلاهة الإنسان تمثّلت في زعيمهم التاريخي الأكبر «قابيل» حين أراد إلى جانب ملكيته للأرض أن يتملّك الإنسان أيضا (أخته والتي كانت ستكون عروسا لأخيه هابيل) رافضا شريعة خالقه. يناظر ذلك في العصر الحديث تملّك الإنسان لأخيه الإنسان بسطوة المال تحت مسميات جديدة لكنّها تمثّل جوهر جوهر استعباد البشر لبني البشر، فما بالكم بالأبله الأصغر وقد أراد أن يتملّك شعبه ويمنعهم من التفكير والّا يتكلموا في الموضوعات التي يعلن هو فيها حظر الكلام والّا يسألوا غيره وليس في ذلك عجب فإنّ كل ديكتاتور يستمدّ سطوته وبطشه من «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاطَعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» (سورة الزخرف - الآية 54). قال ابن الأعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة أحلامهم وقلة عقولهم، وكأنّ هناك علاقة بين الفسق وبين خفة العقل، استخفهم لأنهم كانوا فاسقين [2]. ولكنّ العجب في الذين يستمعون إلى بلاهته فيصدقوه. وفي الحقيقة فإنّ هذا كلّهُ هو السّمة الرئيسيّة لعصر الحداثة، فأسوأ إفرازات عصر تكنولوجيا المعلومات والإتصال الذي نعيشه، هو بثّ ثقافة هشّة ومنمّطة وموحّدة تعلي قيم المنفعة والربح وتميت قيم التأمّل والإبداع والنقد والتحليل داخل الإنسان، تنعكس على سلوكيات وتصرفات الأفراد وعلاقاتهم. حتى صدق فريق منا كنا نظنهم من العقلاء لأخبار البلاهة المطلقة مثل أسر قائد الأسطول السّادس، ووجود كرة أرضيّة تحت رابعة، و«ادينا حقّ الناس ليهم. ميناخدش أرض حد»... اللّواء

**الوطن ليس ترابا وإن كان
تراب، ففي هذا التراب ذرات
أجساد الأجداد الذين روه
بالدم، أنفاس كفاحهم،
تطلعاتهم إلى تحريره،
آمالهم في ازدهاره،
تأملاتهم في قمره وسحابه،
في صخوره ورماله، في بحره
وشعابه حتى وإن لم يروه،
يكفيهم في ذلك القصص.**

وإن لم يروه، يكفيهم في ذلك القصص. والله لقد قال لي مشرفي على الدكتوراه وأنا في براغ -جمهورية التشيك- أتحب أن تقيم هنا ولا تذهب لبلدك فرددت عليه فوراً «إن أقدر مكان في بلاد المسلمين أفضل كثيراً عندي من الإقامة هنا» وقد كانت جنة أرضية مادية بالفعل. لكنني تذكرت على الفور أن الأسماك تستطيع أن تعيش في الماء القذر «لأنه أوطانها وإن تلوثت الأوطان» ولا تستطيع العيش في بحر من أرقى العطور «لأنه ببساطة ليس الوطن وإن تعطر» وكما قال أمير مكة الشريف قتاده أبو عزيز،
بلادي وإن جارت عليّ عزيزة ..

وأهلي وإن ضنوا على كرام

ولم تكن مكة بالبلدة التي يطمح أي إنسان أن يعيش بها إن لم يكن بها البيت الحرام، فالجو والطبيعة في أشد درجات القساوة ومع ذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم «والله إنك لأحب بلاد الله إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» وقد كنت في موسم الحج أتأمل في مكة وأقول لنفسني «إن الله على كل

شئ قدير»، لقد كان الله عز وجل قادراً على أن يجعل مكة هذه أنهاراً من عسل ولبن غير آسن وشلالات ماء تجري هنا وهناك وطيور تصدح على الأغصان في كل مكان وحدائق وارفة الظلال تظل حاضرة البيت الحرام وأجواء معتدلة طوال العام. فلماذا تركها على هذه القساوة؟ والإجابة التي كانت تتبادر إلى ذهني -وربما كنت قد أبعدت الشقة- أن الله يجرد التوحيد له فربما أتى الناس للحج من أجل السياحة والاستمتاع بذلك كله أو بعضه لكنه التوحيد. ومع ذلك ظل أهل مكة يرتبطون بها وكذلك أهل كل محلة يرتبطون بترابها. بل وجعل الله عز وجل الخروج من الوطن قريناً لقتل النفس وإزهاقها والخروج من الحياة، «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا (-66 النساء)» وجعل الموت دونه شهادة (من قتل دون أرضه فهو شهيد).

محاربة البلاء بسطور من التاريخ

أعود إلى صلب المقال وسأستعين بالله عز وجل أولاً ثم بما أثبتته التاريخ في طياته، فلست مؤرخاً وإن كان حاضري ومستقبلي مرتبط بحبل سري بهذا التاريخ، وليس لي فيه كثير ولا قليل اللهم إلا الجمع من مصادر شتى ومن ثم الترتيب والصياغة في بعض الفقرات وأمل أن نقرأه بأناة وصبر فهو استكشاف لمناطق مجهولة في تاريخنا الملمع والملغز في آن واحد.

(1) في عام 1840م اجتمعت الدول الكبرى واتفقت على وقف توسع دولة «محمد علي باشا الكبير» في الإقليم، وتم تحديد حدود الدولة المصرية بحدودها الحالية، بالإضافة إلى جزء من السودان، وجزء من إقليم برقة (في ليبيا حالياً)، وإقليم الحجاز بالكامل حتى جنوب شبه الجزيرة العربية، وبلاد الشام، حتى شمال سوريا، بما في ذلك فلسطين والأردن ولبنان

**العجيب أن بريطانيا أنشأت
سكك حديد مصر عام 1850
أي قبل احتلالها لمصر بأكثر
من ثلاثين عام وذلك عن
طريق نفوذها داخل الدولة
العثمانية آنذاك، وكأنها
كانت تمهّد خارطة الأراضي
المصريّة لغزوها، وافتتحت
قناة السويس عام 1869م**

الحالية، بالإضافة إلى قبرص، على النّحو الذي تبينه
الخريطة التالية (الجزء الملون باللون الأحمر).



(2) في 18 أبريل 1892 م أراد «عباس حلمي»
خديو مصر استصدار فرمان من الصدر الأعظم
يعترف بولايته على مصر فرفض السلطان العثماني
ذلك حتى تتنازل مصر عن الجزء الشرقي لخليج
العقبة والبحر الأحمر، لتستقرّ حدود مصر الشرقيّة
عند الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر وخليج العقبة (أي
أنّ البحر الأحمر بشاطئيه قبالة مصر كان بحيرة
مصرية خالصا لمصر حتى 18 أبريل 1892).

(3) ظلّ هذا الوضع قائماً حتّى الاحتلال
البريطاني لمصر؛ حيث أصبحت حدود مصر،
بحكم الأمر الواقع، تشمل مصر والسودان بالكامل،
فقط بعد احتلال بريطانيا لكامل السودان، بعد حادثة
«فاشودة» الشهيرة عام 1898م والتي انتهت بهزيمة
فرنسا أمام بريطانيا، وسيطرت بموجبها الأخيرة
على السودان. وبذلك فتحت بريطانيا الطريق للدرة
التاج البريطاني «المستعمرات الهندية».

العجيب أنّ بريطانيا أنشأت سكك حديد مصر
عام 1850 أي قبل احتلالها لمصر بأكثر من ثلاثين
عام وذلك عن طريق نفوذها داخل الدولة العثمانية
آنذاك، وكأنّها كانت تمهّد خارطة الأراضي المصريّة
لغزوها، في الوقت الذي كانت تطمح فرنسا لذلك
وافتتحت قناة السويس عام 1869م. وأنشأت بريطانيا
أول كابل بحري للتليغراف عام 1871 قبل الغزو

بإحدى عشر عاما، يربط هذا الخطّ بين البحرين
الأحمر والمتوسّط من أبو تلات للزعفرانة. أثار ذلك
كلّهُ حفيظة الدّول الأوروبيّة ممّا دفعها لعقد مؤتمر
1885 لتتقاسم إفريقيا وعدم تركها بالكلّيّة لبريطانيا.
في الوقت ذاته ولتحجيم توغلّ بريطانيا في إفريقيا
تسبّب «بسمارك» رئيس وزراء ألمانيا الموالي بل
والمسيطر على الدولة العثمانية في أزمة ديون مع
مصر والتي انتهت باحتلال مصر أي أنّ الرّابح من
هذه الأزمة كانت بريطانيا. فكّرت الدّولة العثمانية
بعد ذلك للوصول للمياه الدّافئة في الخليج العربي
دون الحاجة للمرور عبر قناة السويس «وهنا مرتبط
الفرس» فأنشأت الدّولة العثمانية أو بالأحرى ألمانيا
سكّة حديد بغداد (من اسطنبول للبصرة) وأنشأت
أيضا سكّة حديد الحجاز (من اسطنبول للمدينة
المنورة والهدف العقبة) - وكان الممول البنك الألماني
والمنفذين المهندسين الألمان لعلّهم يجدون موطأ
قدم لهم في هذه المنطقة الغنيّة جدّا بالكنوز - وهو
الخطّ الذي منع من إنشائه من قبل الجيش البريطاني

دخلت «تيران» و«صنافير» نطاق السيادة المصرية، بموجب اتفاقية 1840م. وعلى الرغم من ظهور كيانات جديدة مثل إمارة شرق الأردن، ومساعي الشريف حسين لتأسيس دولة عربية كبرى في نجد والحجاز، لم يكن هناك أي خلاف بين مصر وبين حُكّام شبه الجزيرة العربية، على الجزيرتين

مما أثار أزمة حدودية بشأن حدود مصر واستدعى ترسيم حدود مصر الشرقية مع الدولة العثمانية في عام 1906م. عرفت بعد ذلك بأزمة «طابا».

(4) وفي الفاتح من أكتوبر عام 1906م، على إثر أزمة «طابا» أرادت الدولة العثمانية سلخ العقبة (في الأردن حالياً) وأمّ الرّشراش (إيلات حالياً) رغم أنّهما ضمن الأراضي المصرية بموجب اتفاقية العام 1840م. ومن ثمّ تمّ ترسيم حدود مصر البحرية في تلك المنطقة من جديد، وتمّ التوقيع على الاتفاقية المعروفة باتفاقية عام 1906م، بين مصر (أو بمعنى أدقّ دولة الاحتلال البريطاني في ذلك الحين ممثلة عنها وقد كان الوفد كلّ من البريطانيين)، وبين الدولة العثمانية (ووفدها كلّ كان من الألمان)، ومصر في ذلك الحين دولة قائمة سياسياً وقانونياً، ولها إقليم معترف بسيادتها عليه دولياً، بعد أزمة طابا الأولى؛ حيث تمّ وضع خطّ الحدود بين مصر وإقليم فلسطين في ذلك الوقت، شرق طابا، وغرب أم الرّشراش التي تحولت إلى إيلات بعد نكبة العام 1948م، وفي

الشّمال كان قطاع غزّة ضمن الأراضي المصرية. (5) وبموجب موافقة شعبية ضمنية، تخوفاً من المصريين من أن تستغلّ بريطانيا الموقف لاحتلال فلسطين والحجاز، استولى الجيش العثماني على العقبة وطابا، وسط أزمة مع بريطانيا، أفضت إلى أن يوافق الطرفان على تواجد قوّة مصرية في طابا، باعتبار أن مصر في الأساس جزء من الدولة العثمانية، حتّى بموجب اتفاقية 1840م، والتي منحت مصر ومحمد علي ونسله وضعيّة سياسيّة خاصّة، ولكن في إطار السيادة العثمانية. وبموجب هذه الاتفاقية؛ فإن «تيران» و«صنافير» و«أم الرّشراش»، دخلتا نطاق السيادة المصرية، فيما تمّ فصل العقبة والساحل الآسيوي لخليج العقبة عن السيادة المصرية.

(6) في تلك الفترة التاريخية، وقبل اتفاقية «سايكس - بيكو»، 1916م؛ فإنّه لم يكن هناك أيّة كيانات باسم: الأردن، أو حتّى إمارة شرق الأردن، أو السعودية، أو المملكة العربية السعودية. ولم يصدر أيّ موقف عمّا كان يُعرف وقتها بـ«إمارة جبل شمر»، أي تعقيب على الأمر، باعتبار أن حدودهم تقف عند الحدود الشرقية لإقليم الحجاز.

(7) واستمر هذا الوضع خلال السنوات التالية مروراً بالحرب العالمية الأولى والتي أعلنت فيها بريطانيا الحماية على مصر في بدايتها عام 1914م، ثم احتلّت فلسطين في نهايتها عام 1918م مروراً باتفاقية «سايكس-بيكو» عام 1916م، التي قسّمت المشرق العربي ومصر إلى مناطق نفوذ بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، ولم تلبث روسيا أن تركت مجالها الحيوي فيها، بعد الثورة البلشفية عام 1917م.

(8) وعلى الرّغم من ظهور كيانات جديدة مثل إمارة شرق الأردن، ومساعي الشريف حسين لتأسيس دولة عربية كبرى في نجد والحجاز، لم يكن هناك أي خلاف بين مصر وبين حُكّام شبه الجزيرة

العربية، على الجزيرتين.

في عام 1950م، طالب الملك عبد العزيز آل سعود بالجزيرتين وكانتا تحت الإدارة المصرية، ولكن مصر رفضت، ولم تتحرك السعودية لعدم وجود سلام بحرية آنذاك لديها، لحماية الجزيرتين خلال سنوات الحرب مع إسرائيل

(9) نصل إلى نقطة الافتراق، وهي عام 1926م، عندما ظهر كيان جديد باسم «مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها»، بعد أن قامت سلطنة نجد وملحقاتها التي أسسها «عبد العزيز آل سعود»، بضمّ مملكة الحجاز أو إقليم الحجاز؛ حيث تم تنصيبه ملكاً على الحجاز، في الحرم المكي، يوم 8 جانفي/ يناير من العام 1926م، ثم غير مسمّى الدولة الجديدة، يوم 29 جانفي/ يناير من العام 1927م، أعلن نفسه ملكاً على نجد أيضاً بدلاً من لقب السلطان، بعد معاهدة «جدة» بين مملكة نجد والحجاز وملحقاتها، وبين بريطانيا في العام 1927م، واعترفت فيها بريطانيا بعبد العزيز ملكاً على الكيان الجديد المسمى بـ «مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها».

(10) في فبراير من العام 1949م، وقعت الحكومة المصرية اتفاقية «هدنة رودس»، مع الدولة العبرية، وتضمن خط الهدنة، يتضمن حدود اتفاقية العام 1906م، عدا قطاع غزة.

(11) وفي عام 1950م، طالب الملك عبد العزيز آل سعود بالجزيرتين وكانتا تحت الإدارة المصرية، ولكن مصر رفضت، ولم تتحرك السعودية لعدم وجود سلاح بحرية آنذاك لديها، لحماية الجزيرتين خلال سنوات الحرب مع إسرائيل.

(12) وفي عام 1951م، أعلنت الحكومة المصرية أن الجزيرتين «جزر مصرية ولا بدّ من إخطار مصر قبل العبور منها»، وذلك لأنها حظرت مرور السفن الإسرائيلية فيها، ووضع الملك فاروق على جزيرة «تيران» مدفعية مضادة للصواريخ وفي 1953م احتجزت السلطات المصرية سفينة تجارية «باب جاليم» للتفتيش فوجدت طاقمها عبارة عن كوماندوز اسرائيلي تابع لفرقة شايتد 13 الإسرائيلية فاحتجزتهم مصر لأكثر من شهرين. وظلّ هذا الوضع قائماً حتى

العام 1957م، حيث أدت أحداث العدوان الثلاثي إلى فتح خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية.

(13) تصنع الجزيرتين ثلاث ممرّات ملاحية من وإلى خليج العقبة، الأول منها يقع بين ساحل سيناء وجزيرة «تيران»، ولكنه أقرب إلى ساحل سيناء، وهو الأصلح للملاحة ويبلغ عمقه 290 متراً، ويسمى بممر «إنتربرايز»، والثاني يقع أيضاً بين ساحل سيناء وجزيرة «تيران»، ولكن أقرب إلى الجزيرة، ويسمى بممر «جرافتون»، ويبلغ عمقه 73 متراً، في حين يقع الثالث بين جزيرتي تيران وصنافير، ويبلغ عمقه 16 متراً فقط، وهو غير صالح للملاحة بالإطلاق.

(14) في عام 1954م، توجهت مصر إلى الأمم المتحدة بوثائق تتعلق باتفاقية العام 1906م، وبما يثبت وجود قوات مصرية في «تيران» و«صنافير» منذ الحرب العالمية الثانية.

(15) في عام 1955م نصبت مصر مدفعية ثقيلة

كلّ مرات احتلال إسرائيل لسيناء؛ كانت تحتلّ الجزيرتين. ولم تعلن المملكة أنّ لها أرضاً محتلة.

(18) وفي مارس من العام 1957م، انسحبت إسرائيل «من سيناء وجزيرتي «تيران» و«صنافير» بعد الاتفاق على وجود قوات حفظ سلام دولية فيها لضمان حرية الملاحة في مضيق تيران وخليج العقبة، وأقرّت الأمم المتحدة بذلك ضمناً بمصريّة الجزيرتين، ولكنّها لم ترد على مذكرة سعودية اعترضت فيها الرياض على ذلك. ووقّعت مصر على اتفاقية البحار، التي تلزم مصر بحرية الملاحة للسفن الإسرائيلية في خليج العقبة.

(19) في حرب النكسة عام 1967م، أكملت إسرائيل احتلال سيناء باحتلال جزيرتي «تيران» و«صنافير».

(20) في عام 1982م، وبعد استعادة مصر لكامل تراب سيناء عدا طابا، أصدر وزير الداخلية في ذلك الحين، اللواء حسن أبو باشا، قراراً برقم 422 لسنة 1982م بإنشاء نقطة شرطة مستديمة في جزيرة «تيران» تتبع قسم شرطة «سانت كاترين» بمحافظة جنوب سيناء ويشمل اختصاصها جزيرتي «تيران» و«صنافير» (نص القرار من الجريدة الرسمية «الوقائع المصرية» في الصورة)

قرار رقم ٤٢٢ لسنة ١٩٨٢
بإنشاء نقطة شرطة مستديمة بجزيرة تيران تتبع قسم سانت كاترين محافظة جنوب سيناء

وزير الداخلية
بعد الاطلاع على القرار الجمهوري رقم ١٧٥٥ لسنة ١٩٦٠ بتقسيم الجمهورية إلى محافظات ومدن وقري وتحديد نطاق المحافظات، المعدل بالقرار الجمهوري رقم ٨٤ لسنة ١٩٧٩
وعمل قرار مجلس الوزراء رقم ٧٠٧ لسنة ١٩٧٩ بإصدار اللائحة التنفيذية للقانون رقم ٤
وعمل مذكر الإدارة العامة للشئون الإدارية المؤرخة ١٩٨٢/٧/٩

الوقائع المصرية - العدد ٦٧ في ٢١ مارس سنة ١٩٨٢

قصر :

مادة ١ - تنشأ نقطة شرطة مستديمة بجزيرة تيران تتبع قسم سانت كاترين محافظة جنوب سيناء تسمى نقطة شرطة جزيرة تيران ويشمل اختصاصها جزيرتي تيران وصنافير .
مادة ٢ - ينشر هذا القرار في الوقائع المصرية ، ويعدل به من اليوم التالي لنشره
تحريراً في ٢٦ ربيع الآخر سنة ١٤٠٢ (٢٠ أبريل سنة ١٩٨٢) .

**في العدوان الثلاثي
سبتمبر عام 1956م احتلت
إسرائيل الجزيرتين «ضمن
احتلالها لشبه سيناء» - وهو
ملحظ مهم للغاية؛ حيث
إنّه في كلّ مرات احتلال
إسرائيل لسيناء؛ كانت
تحتلّ الجزيرتين. ولم تعلن
المملكة أنّ لها أرضاً محتلة.**

في رأس نصراني بالقرب من رأس محمد وهي أقرب نقطة لمضيق «تيران» لقصف أيّ سفينة لا تخضع لشروط التفتيش.

(16) في يناير 1956م توصّلت القيادة الإسرائيلية إلى أنّه لا سبيل لتأمين للملاحة في خليج العقبة من وإلى «إيلات» وربطها بالعالم إلّا باحتلال «تيران» و«شرم الشيخ». فنقّدت أول عملية مشتركة بين الفروع الثلاثة للجيش الإسرائيلي لاحتلال ضفتي مضيق «تيران» سمّيت بعملية يركون «العفن» ونزلت القوات البرية بحذاء الساحل الشرقي لخليج العقبة وفي الأراضي السعودية حتى نزلت بالقرب من «صنافير» و«تيران» واحتلتها واحتلت «شرم الشيخ» لمدة ثلاثة أيام كاملة ولم تعلم مصر ولا السعودية بذلك.

(17) في العدوان الثلاثي سبتمبر عام 1956م احتلت إسرائيل الجزيرتين «ضمن احتلالها لشبه سيناء» - وهو ملحظ مهم للغاية؛ حيث إنّ في

وضعت معاهدة كامب ديفيد الجزيرتين ضمن المنطقة "ج" المدنية، التي لا يحقّ لمصر تواجد عسكري فيها مطلقاً، لكن ذلك لا ينفي أنها تمارس سيادتها على هاتين الجزيرتين، ولم تعترض الدولة السعودية على نصّ المعاهدة.

خطوط الأساس المذكورة في المرسوم الملكي الذي صدر عن الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود في ذلك الوقت، في المناطق المقابلة للساحل المصري، في مياه البحر الأحمر، شمال خط عرض 22 الذي يمثل الحدود الجنوبية لمصر، «لا يمس أو يغير في الموقف المصري في المباحثات الجارية مع الجانب السعودي لتعيين الحدود البحرية بين البلدين».

(26) أما مطالبة المملكة العربية السعودية فتستند على الحقيقة التاريخية التي أوردها المقريري؛ حيث إنّه في خطه ذكر كلاً الجزيرتين أنهما تابعتان للحجاز، وبالتالي؛ فإنّ تبعيتهما أو السيادة عليهما، تكون لمن يتبعه الإقليم، والإقليم منذ العام 1926م، يخص «مملكة نجد والحجاز وملحقاتها»، قبل أن تصبح المملكة العربية السعودية، في العام 1932م. لكن اتفاقية 1906م، وضعت الجزيرتين في حيازة الإقليم المصري في حينه، ووفق قواعد القانون الدولي فإن الاتفاقية أقوى من الثوابت التاريخية، وبالتالي؛ فالجزيرتين مصريتين قانوناً.

(21) وقع الجانبان المصري والإسرائيلي عقب حرب أكتوبر عام 1973، معاهدة «كامب ديفيد» عام 1978، ووفقاً للمعاهدة خضعت الجزيرتان لسيطرة قوات دولية متعدّدة الجنسيات «قوات رانجرز الجيش الأمريكي مع تواجد طفيف للشرطة المصرية». وتمّ وضع قوّة مراقبة للتأكد من امتثال مصر وإسرائيل للأحكام الأمنية الواردة في اتفاقية السلام والمتعلقة بفتح خليج «تيران».

(22) وضعت الجزيرتان ضمن المنطقة "ج" المدنية، التي لا يحقّ لمصر تواجد عسكري فيها مطلقاً، لكن ذلك لا ينفي أنّها تمارس سيادتها على هاتين الجزيرتين، وبالتالي الدولة السعودية التي قامت في 1926، لم تعترض على نصّ المعاهدة الذي تضع الجزيرتين تحت السيادة المصرية.

(23) وفي العام 1983م، تم إعلان الجزيرتين ومنطقة رأس محمد، الحدّ الجنوبي للخطّ الفاصل بين المنطقتين (ب) و(ج) في البروتوكول العسكري لاتفاقية السلام، كمحميات طبيعيّة، تابعة للدولة المصرية.

(24) في العام 1990م، صدر القرار الجمهوري رقم (27) لسنة 1990م، بشأن خطوط الأساس لتعيين الحدود البحرية لمصر، وضعت الجزيرتين في الحيازة المصريّة. ولذلك لم تعقب مصر مباشرةً على خريطة رسمية سعودية، صدرت في 1989م، تظهر الجزيرتين ضمن الأراضي السعودية

(25) هذه هي باختصار قصة «تيران» و«صنافير»، فما تلا ذلك معروف في كلّ الأوساط، ففي العام 2010م، أصدرت المملكة مرسوماً لتحديد خطوط الأساس البحريّة لها في البحر الأحمر وخليج العقبة، وفي الخليج العربي، تضمن السيادة على الجزيرتين. وعلى إثر ذلك قامت القاهرة بإصدار إعلان، وضعته لدى الأمم المتحدة، ذكرت فيه أن

**بتنازل مصر عن الجزيرتين يصبح
الممر المائي بين جنوب سيناء
وتيران، مياهاً دولية لا يحق لأي
أحد كائنا من كان التحكم فيه
بأي شكل كان وهو ما يُعد
تنازلاً عن أهم مورد أساسي
للبلاد في الوقت الحالي وهو
قناة السويس، وستفقد مصر
بذلك أهميتها الاستراتيجية
على أهم معبر مائي عالمي.**

(27) وبخصوص اعتراف الحكومة المصرية مؤخراً بتبعية الجزيرتين للمملكة فهو يبقي اعتراف حكومة لا اعتراف شعب خاض الحروب ليحرر وطنه من أيدي مغتصبه. وإن الذي عجل بتوقيع الاتفاقية هذه الأيام هو طلب أمريكا إجلاء وسحب قواتها من «تيران» بعد انسحاب القوات الكندية والخوف من أن تنظيم «داعش» أخذ في تطوير سلاحه وعدوانه على المنطقة بدون وجود أمريكي ومصر تسيطر على خليج العقبة - شرم الشيخ وتيران وصنافير فليس لأمريكا حجة في التدخل إلا إذا كان الموضوع دولياً ومن هنا جاءت فكرة التّعجيل بجعل السعودية مسيطرة على الجزيرتين فيصبح الأمر بالتالي دولياً في الخليج وهنا تجد أمريكا حجة قوية للتدخل خاصة وأن «داعش» وصلت إلى شمال سيناء والعريش والشيخ زويد فتساعد مصر في القضاء نهائياً على كل بؤر الإرهاب في سيناء.

(28) نشرت الصحف العبرية في 2013، نصّ إنهاء حكومة الاحتلال إجراء قرض من البنوك

الأمريكية بقيمة 14 مليار دولار بفائدة سنوية 1 % فقط، من أجل إنشاء قناة بن غوروين الملاحية، والتي وصفت بأنها تتمتع بصفات أعلى وأكبر من قناة السويس المصرية، وتبدأ القناة من ميناء «إيلات» على البحر الأحمر إلى البحر المتوسط، وقالوا أيضاً عن القناة التي يرجح الانتهاء منها في نهاية العام الحالي أو بداية العام المقبل (2016/2017) لتكون المركز الملاحي الرئيسي في الشرق الأوسط مع التأكيد أنها تأخذ نفس مساحة قناة السويس المصرية مع الفارق أن قناة «بن غوريون» ستكون ذات مسلك واحد أي أن السفن التجارية تستطيع الدخول والخروج في نفس اليوم لا أن تنتظر أياماً كما يحدث في قناة السويس، لكن هناك مشكلة كبيرة تعوق إتمام ذلك، وهي أن المدخل الوحيد لخليج العقبة والصالح للملاحة البحرية هو بين جزيرة تيران المصرية والساحل الشرقي لمحافظة جنوب سيناء المصرية. أي داخل المياه الإقليمية المصرية وستصبح مصر هي المتحكم في الممر لأنه داخل مياهها الإقليمية ويمكن أن تغلقه أو تفرض أي رسوم مالية عليه لأنه يقع داخل حدودها. وبتنازل مصر عن الجزيرتين يصبح الممر المائي بين جنوب سيناء وتيران، مياهاً دولية لا يحق لأي أحد كائنا من كان التحكم فيه بأي شكل كان. أي أن التنازل عن الجزيرتين يُعد تنازلاً عن أهم مورد أساسي للبلاد في الوقت الحالي وهو قناة السويس، وستفقد مصر بذلك أهميتها الاستراتيجية على أهم معبر مائي عالمي، فالكيان الصهيوني هو أكثر الرابحين من ذلك التنازل. وخصوصاً أن إسرائيل ومباشرة بعد حرب 1967م وبالتحديد في أوت/ أغسطس قامت بمدّ خط لنقل البترول من «إيلات» لمدينة «حيفا» وكان مخططاً أن تزداد سعته لنقل مليون برميل يوميا والذي كان يستخدمه للنقل من البحر الأحمر للبحر الأبيض شركة بترول إيرانية في عهد الشاه في حين رفضت

تمّ ترسيم الحدود بطول السّاحل المشترك بين مصر والسّعودية البالغ حوالي ألف كيلومتر (والحدث الجلل الذي يتحدّث عنه النّاس حوالي من خمسة لعشرة كيلومترات فقط الواقع فيه الجزيرتين) وربّما كان في بقية الترسيم أشياء أكثر خطورة من موضوع الجزيرتين.



الهوامش

- [1] قول للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صحيح البخاري، كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضاً مواتاً.
- [2] محمد راتب النابلسي، التفسير المطول، سورة الزخرف، 043، الدرس (7-9): تفسير الآيات 57-66، 1994.
- [3] جيل دولوز: نيتشه والفلسفة، ترجمة أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى 1993، لبنان، ص 137.

باقي الشركات العالمية استخدامه خوفاً من الاضرار بحجم مصالحها في الوطن العربي، وكانت إسرائيل -حسب وثائق الخارجية الأمريكية- تعلن أنّ الغرض من أنبوب النقل ليس المكسب التجاري ولكن التقليل من أهمية مصر على السّاحة الدولية من وجود قناة السويس، حيث تكمن مشكلة «تيران» و«صنافير».

(29) تمّ ترسيم الحدود بطول السّاحل المشترك بين مصر والسّعودية البالغ حوالي ألف كيلومتر (والحدث الجلل الذي يتحدّث عنه النّاس حوالي من خمسة لعشرة كيلومترات فقط الواقع فيه الجزيرتين) وربّما كان في بقية الترسيم أشياء أكثر خطورة من موضوع الجزيرتين. على سبيل المثال في عام 2012 م أعلنت السّعودية عن اكتشاف حقل للغاز الطبيعي في البحر الأحمر أسمته حقل «شعور» وحسب الإحداثيات المعلنة فالحقل يقع في المياه السّعودية بالقرب من مدينة الوجه السّعودية ولكن بمراجعة وبفحص خرائط قاع البحر وجدت أن هناك أعمال تنقيب تمّت على بعد كيلومترات قليلة جدّاً من جزيرة «شدوان» المصرية نظيرة «تيران» على خليج السّويس وهي بعيدة تماماً عن الحدود السّعودية، وأنّ شركة «إكسون موبيل» (أكبر شركة في العالم للتنقيب عن الغاز، واقتصاد هذه الشركة وحدها يقترب من اقتصاد الوطن العربي تقريباً) هي التي ستتولّى التنقيب واستخراج الغاز من البحر الأحمر.

(30) نختم بنقطة هامّة جدّاً أثارها بعض خبراء التّرسيم البحري تخصّ التشكيك في خطوط الأساس لترسيم شبه جزيرة سيناء وانفصالها عن ساحل محافظة البحر الأحمر والصّحراء الشّرقية وأنّهما تمّ تعيينهما عند نقطتي مدّ وليس عند نقطتي جزر وأنّهما لا يتلامسان ولا يوجد عندهما فنارات وبالتالي فخليج السّويس خليج دولي. (إنظر الخريطة الموالية).



أدم شعبان
«تلميذ»

رجال و نصف ...



«رأيتهم...
ليتني ما كنت أراهم.
يمشون... وقد أثقل الإملاق ممشاهم.
أثوابهم رثة... والرجل حافية
والدمع تذرفه في الخد أعينهم».

لقد شعرت بشيء يتحرك في قرارة نفسي،
هذا الشعور هو الإحساس العميق نحو هؤلاء
الأطفال بالألفة والمحبة وبرباط روحي متين.
هذا قلبي لكم؛ قلوبنا معكم، فتونس هي
التي جمعتنا وهي التي توحدنا. فيا أطفال بلادي
أنظروا إلى الأمام وتفاءلوا بمستقبل مشرف. فلا
تحزنوا وأنتم كنوز بلادي...
فأنتم رجال و نصف ...

حين يولد الطفل في الفقر أو أحيانا بدون
عائلة، حين يطلق صرخاته الأولى التي لا تجد
صدى في المجتمع. حين ينطلق من حلمه الأول
وهو العيش بسعادة وبراحة، بلا تعب وبلا فقر
وأن يرى نفسه من خير أبناء بلاده. ولكن قد
تكون هذه الأحلام هي أوهام فحسب.

وأنا أشاهد على شاشة التلفاز صور مثيرة
للغاية لمجموعة من أطفال ريف بلادي العزيزة
وهم يقطعون مسافات طويلة حتى يصلون
إلى مدارسهم النائية وما أشد إصرارهم على طلب
العلم والتضحية في سبيل الوطن. تذكرت
أبياتا شعرية كنت حفظتها عن أبي، فأعدت
صياغتها وقلت:



www.alalam.ir





الحبيب بلقاسم
«عاشق الصاد»
habib.belgecem.fattouma@gmail.com

أزاهير

مواعظ قيّمة في مواضع نيرات



- (1) مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعَيْنِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِأُذُنِهِ.
- (2) لِلْعَبْدِ سِتْرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَسِتْرٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَمَنْ هَتَكَ السِتْرَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، هَتَكَ اللَّهُ السِتْرَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.
- (3) لِلْعَبْدِ رَبٌّ هُوَ مُلَاقِيهِ، وَبَيْتٌ هُوَ سَاكِنُهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَرْضِيَ رَبَّهُ قَبْلَ لِقَائِهِ، وَيَعْمُرَ بَيْتَهُ قَبْلَ انْتِقَالِهِ إِلَيْهِ.
- (4) إِضَاعَةُ الْوَقْتِ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ، لِأَنَّ إِضَاعَةَ الْوَقْتِ تَقْطَعُكَ عَنِ اللَّهِ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْمَوْتُ يَقْطَعُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا.
- (5) الدُّنْيَا مِنْ أُولَئِهَا إِلَى آخِرِهَا لَا تُسَاوِي غَمَّ سَاعَةٍ، فَكَيْفَ بِغَمِّ الْعُمُرِ؟
- (6) مَحْبُوبُ الْيَوْمِ يُعْقِبُ الْمَكْرُوهَ غَدًا، وَمَكْرُوهُ الْيَوْمِ يُعْقِبُ الْمَحْبُوبَ غَدًا.
- (7) أَعْظَمُ الرِّيحِ فِي الدُّنْيَا أَنْ تَشْغَلَ نَفْسَكَ كُلَّ وَقْتٍ بِمَا هُوَ أَوْلَى بِهَا، وَأَنْفَعُ لَهَا فِي مَعَادِهَا.

**التَّقْوَى ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: إِحْدَاهَا
حَمِيَّةُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ عَنِ
الْآثَامِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، الثَّانِيَّةُ:
حَمِيَّتُهَا عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ،
الثَّالِثَةُ: الْحَمِيَّةُ عَنِ الْفُضُولِ
وَمَا لَا يَغْنِي، فَالْأُولَى تُعْطِي
الْعَبْدَ حَيَاتَهُ، وَالثَّانِيَّةُ تُفِيدُهُ
صِحَّتَهُ وَقُوَّتَهُ، وَالثَّالِثَةُ
تُكْسِبُهُ سُرُورَهُ وَفَرَحَهُ
وَبَهْجَتَهُ**

(17) مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ لَمْ تَزَلْ هَدَايَاهَا تَأْتِيهِ مِنْ
الْمَكَارِهِ، وَمَنْ خَلَقَهُ لِلنَّارِ لَمْ تَزَلْ هَدَايَاهَا تَأْتِيهِ مِنْ
الشَّهَوَاتِ.

(18) لَمَّا طَلَبَ آدَمُ الْخُلُودَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ جَانِبِ
الشَّجَرَةِ، عُوقِبَ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، وَلَمَّا طَلَبَ يُوسُفُ
الْخُرُوجَ مِنَ السِّجْنِ مِنْ جِهَةِ صَاحِبِ الرُّوْيَا، لَبِثَ فِيهِ
بِضْعَ سِنِينَ.

الخاتمة

«هَذِهِ طَائِفَةٌ مِنْ عِظَاتٍ وَحِكَمٍ قِيَمَاتٍ، مَبْنُوتَةٌ فِي
أَسْفَارِ ابْنِ قَيِّمِ الْجَوَازِيَّةِ، رَاقَنْتَنِي وَشَاقَنْتَنِي، وَدِدْتُهَا مَا
رَدَدْتُهَا، فَسَبْتُ مُسْتَهْيَاً إِتْحَافَكُمْ بِهَا، وَإِرْشَادَكُمْ لَهَا،
وَمَا زَالَ فِي الْفَوَادِ شَوْقٌ وَتَوَقُّعٌ إِلَى الزِّيَادَةِ مِنْهَا
وَالزِّيَارَةِ إِلَيْهَا، وَعَسَاكُمْ فِي الْحَلَقَةِ الْقَادِمَةِ تَزْدَادُونَ
بِهَا سُرُورًا، إِنَّهَا طِبُّ الْقُلُوبِ، مِمْحَاةٌ لِلْكَرُوبِ».

(8) كَيْفَ يَكُونُ عَاقِلًا مَنْ بَاعَ الْجَنَّةَ بِمَا فِيهَا
بِشَهْوَةٍ سَاعَةٍ؟

(9) يَخْرُجُ الْعَارِفُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَقْضِ وَطْرَهُ مِنْ
شَيْئَيْنِ: بُكَاءُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَنَاقُؤُهُ عَلَى رَبِّهِ.

(10) الْمَخْلُوقُ إِذَا خِفْتُهُ اسْتَوْحَشْتَ مِنْهُ وَهَرَبْتَ
مِنْهُ، وَالرَّبُّ تَعَالَى إِذَا خِفْتُهُ أَيْسَتْ بِهِ وَقَرُبْتَ إِلَيْهِ.

(11) لَوْ نَفَعَ الْعِلْمُ بِلَا عَمَلٍ لَمَّا دَمَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ
أَحْبَارَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَلَوْ نَفَعَ الْعِلْمُ بِلَا إِخْلَاصٍ لَمَّا دَمَّ
الْمُنَافِقِينَ.

(12) دَافِعِ الْخَطَرَةَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَارَتْ فِكْرَةً،
فَدَافِعِ الْفِكْرَةَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَارَتْ شَهْوَةً، فَحَارِبْهَا،
فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ صَارَتْ عَزِيمَةً وَهَمَةً، فَإِنْ لَمْ تُدَافِعْهَا
صَارَتْ فِعْلًا، فَإِنْ لَمْ تَتَذَارَكْهُ بِضِدِّهِ صَارَ عَادَةً،
فَيَصْنَعُ عَلَيْكَ الْإِنْتِقَالَ عَنْهَا.

(13) التَّقْوَى ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: إِحْدَاهَا حَمِيَّةُ الْقَلْبِ
وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، الثَّانِيَّةُ: حَمِيَّتُهَا
عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ، الثَّالِثَةُ: الْحَمِيَّةُ عَنِ الْفُضُولِ وَمَا
لَا يَغْنِي، فَالْأُولَى تُعْطِي الْعَبْدَ حَيَاتَهُ، وَالثَّانِيَّةُ تُفِيدُهُ
صِحَّتَهُ وَقُوَّتَهُ، وَالثَّالِثَةُ تُكْسِبُهُ سُرُورَهُ وَفَرَحَهُ وَبَهْجَتَهُ.

(14) غُمُوضُ الْحَقِّ حِينَ تَذُبُّ عَنْهُ يُقَلِّلُ نَاصِرَ
الْخَصْمِ الْمُحِقِّ

(15) تَضِلُّ عَنِ الدَّقِيقِ فَهُومُ قَوْمٍ
فَنَقْضِي لِلْمَجِلِّ عَلَى الْمُدِقِّ

(16) بِاللَّهِ أَبْلُغْ مَا أَسْعَى وَأَدْرِكْهُ
لَا بِي وَلَا بِشَفِيعٍ لِي مِنَ النَّاسِ
إِذَا أَيْسَتْ وَكَادَ الْيَأْسُ يَقْطَعُنِي
جَاءَ الرَّجَا مُسْرِعًا مِنْ جَانِبِ الْيَأْسِ



الثوابت الفيزيائية والتقدير الإلهي (2-2)



ومع الزمن برد الكون وتوزّعت تلك الطّاقة في شكل شبكة من الخيوط الكونيّة الرّقيقة قياسا إلى أبعاد الكون الخياليّة. تتشكّل مادّة تلك الخيوط من المادّة المظلمة أساسا ومن عناقيد المجرّات. تظهر تلك الخيوط نسيجا محبوكا بإحكام شديد وتمتدّ في انتظام مطرد على مسافات هائلة. يشكل ذلك النسيج المحبوك بدقّة فائقة البناء الكوني. يميل ذلك البناء السّماوي إلى الانهيار على ذاته والرّجوع إلي «حالته» الأولى بفعل قوى الجذب الثّقالي التي أودعها الخالق في المادّة-الطّاقة والتي تعمل على تجميعها وتكديسها في نقطة لا أبعاد لها. ولكن وعلى امتداد عمر الكون لم يحصل ذلك الانهيار وذلك بفضل طاقة التّمدد التي تعتبر خاصيّة أساسيّة لكوننا باعتبار تزامنها مع انبثاق الكون من

ماذا لو؟

رأينا أن نظريّة «الانفجار العظيم» وهي السّائدة الآن حول نشأة الكون تقول بأنّ هذا الأخير كان لحظة الخلق في حالة حارّة جدّا ومضغوطة في «حيز» أصغر بكثير من حجم الذرة الواحدة. «انفجرت» تلك الحالة معلنة انبثاق الكون وكان الانفجار مصحوبا بضخّ كمّيّة فائقة من الطّاقة في الكون الذي كان ذا حجم غاية في الصغر. بدأ الكون منذ ذلك الرّمن السّحيق بالتّمدد إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن.

كثافة المادّة في بداية الكون

للكون إذا، عند الخلق، حجم صغير جدا و يحتوي كمية هائلة من الطاقة (مادة عادية، مادة مظلمة)،

**إنّ تاريخ الكون هو تاريخ
لتوازن دقيق جدّا بين قوى
الثّقالة التي تميل إلى تدميره
بانسحاق عظيم والعودة
به إلى الفناء وقوى التمدّد
التي توسعه باستمرار.
تمثل الطاقة التي يتمدّد
بها الفضاء الآلية الفيزيائية
التي بفضلها يرتفع البناء
الكوني**

العدم إن لم تكن هي أصلا السبب الذي أدّى إلى ظهوره. جعل ذلك التمدّد الفضاء الشبه خالي للكون أكثر فأكثر رحابة وأدّى إلى توسعه بوتيرة محدّدة.

إنّ تاريخ الكون هو تاريخ لتوازن دقيق جدّا بين قوى الثّقالة التي تميل إلى تدميره بانسحاق عظيم والعودة به إلى الفناء وقوى التمدّد التي توسعه باستمرار. تمثل الطاقة التي يتمدّد بها الفضاء الآلية الفيزيائية التي بفضلها يرتفع البناء الكوني. وتجدر الإشارة هنا وربّما التأكيد أيضا بأنّ السّماء بناء حقا. فالبناء لغة هو إقامة الشّيء بضمّ بعضه إلى بعض. والسّماء كما رأينا بناء لبناته الأساسيّة المجرّات مرفوعة بآلية التمدّد ومضمومة إلى بعضها البعض باسمنت خاصّ يسمى المادّة السّوداء.

فلو كانت الكثافة الأصليّة للمادّة-الطاقة، أي نسبة مقدار محتوى الكون من المادّة-الطاقة إلى حجمه، كبيرة لتوقّف توسّع الكون وتقلّص حجمه وانهار على نفسه واختفى بسرعة، إذ تبيّن النّماذج الحسابيّة أنّ عمر الكون كان يمكن أن لا يتعدّى مليون سنة أو قرن أو ساعة وهو عمر صغير جدّا لكي تستطيع الحياة الظهور. أمّا لو كانت تلك الكثافة صغيرة فلن يصبح بمقدور قوى الجذب التّقالي تجميع الهيدروجين وتكوين النّجوم ممّا يعني استحالة بروز الحياة أيضا. فالحياة تتأسّس على عنصر الكربون أساسا وهذا العنصر لم يتولّد في الظروف الأوّلية لخلق الكون إذ لم تكن الحرارة كافية لذلك بل تطلب الأمر مئات الملايين من السّنين حتّى تنشأ النّجوم وتتولّد في باطنها العناصر النّقيلة والتي من بينها الكربون. لقد تطلّب ظهور الإنسان 13.8 مليار سنة وهي مدّة تحدّدت منذ لحظة الخلق باعتبار أنّ

التّطور الذي أعقب تلك اللّحظة تحكّمت في وتيرته تلك الكثافة التي كان مقدارها مضبوط بدقّة تحبس الأنفاس. دقة ضروريّة لتتوقّر الظروف الملائمة (الزّمن) لنشأة الإنسان. تحيلنا هذه الحقائق العلميّة وما تسعفنا به اللّغة العربيّة من معاني على الآية 8 من سورة الرّعد التي يقول فيها تعالى «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ». فالكون، وهو بالتعريف العلمي كل شيء، قد أبدعه الله بتحديد كثافته منذ لحظة الخلق بقدر واحد لا تتعدّاه لا بالزيادة ولا بالنقصان أي بمقدار بالتعبير القرآني. وهذا الالتقاء بين حقيقة علميّة (مقدار كثافة الكون) وآية قرآنيّة (وكل شيء عنده بمقدار) في تقرير ظاهرة مادّية يجعل من الآية وكأنّها صيغت الآن وهي خاصيّة يمكن أن تحدث صدفة مرّة أو مرّتين في نصّ من إنتاج بشريّ ما ولكن أن تحدث عشرات المرّات في القرآن الكريم، كما سنبين لاحقا في سلسلة المقالات التي سنكتبها

إنّ الدّقة التي يتكلّم عنها العلماء فيما يتعلّق بمقدار الكثافة بعلاقة جوهريّة بطاقة التمدّد. فلم يكن للكون أن يتطوّر بالشّكل الذي أدّى إلى ظهور الإنسان لو لم يكن هناك ضبط دقيق لمقدار الكثافة ومقدار طاقة التّوسع.

عن القرآن والسّماء، فإنّ ذلك لا يمكن إلّا أن يدفعنا إلى تدبّر الأمر.

لم تتحدّد كثافة الكون باستقلال عن الطّاقة التي يتمدّد بها والتي اعتبرناها الأداة التي رفع بها البناء السّماوي. بل إنّ الدّقة التي يتكلّم عنها العلماء فيما يتعلّق بمقدار الكثافة بعلاقة جوهريّة بطاقة التمدّد. فلم يكن للكون أن يتطوّر بالشّكل الذي أدّى إلى ظهور الإنسان لو لم يكن هناك ضبط دقيق لمقدار الكثافة ومقدار طاقة التّوسع. وهنا لا ننسى أنّ الآية 8 من سورة الرعد «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» متّصلة بالآية 2 من نفس السّورة «اللّٰهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا»، كما أشار إلى ذلك بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، أي أنّ السّياق القرآنيّ لآيتين يسمح باعتبارهما يتكلّمان على نفس الظّاهرة وهي ظاهرة تحديد كثافة الكون منذ لحظة خلقه مع طاقة تمدّده التي بفضلها رفع البناء الكوني .

وبالعودة إلى المعنى المعجمي الأصلي لكلمة قدر

فإنّنا نجد في مقاييس اللّغة مثلاً أنّ قدر الشيء هو مبلغه وكنهه وغايته أليس إذا قدر الكون أي كنهه وغايته ومبلغه هو أن يتطوّر على امتداد 13.8 مليار سنة لكي نكون هنا وإنّ ذلك لم يكن ممكناً لو لم يكن مقدار الكثافة ومقدار طاقة التمدّد قد ضبطا بالدّقة الضروريّة وذلك منذ اللحظة الأولى؟

يمثّل مقدار الكثافة الكونيّة ثابتاً من جملة حوالي عشرين ثابتاً فيزيائياً تتحدّد بها خصائص عالمنا ولا أحد يعرف لماذا تمتلك الثّوابت تلك المقادير والتي ضبطت بالدّقة المطلوبة لظهور الإنسان. ونعني بالدّقة أنّه لو تغيّر ولو بقدر صغير جدّاً مقدار أحدها، فسيؤدّي إلى اختفاء العالم أو تغيير معالمه جوهريّاً. إنّ القوانين الفيزيائيّة التي تتحكّم في الكون مرتبطة بتلك المقادير الثّابتة والدقيقة إلى حدّ الكمال ممّا هيّا الطّروف الملائمة لظهور الحياة. ولمزيد التّعريف على الثّوابت الفيزيائيّة نذكر البعض منها مثل الشّحنة الكهربائيّة للبروتون والإلكترون ونسبة القوّة الكهرمغنطيسيّة لقوّة الجذب الثّقالي.

الشّحنة الكهربائيّة للبروتون والإلكترون

لو كانت شحنتي البروتون والإلكترون مختلفة ولو بجزء من مائة ألف مليون جزء، فلن تكون حينئذ الدّرة محايدة الشّحنة (عدد الإلكترونات مساو لعدد البروتونات في نواة الدّرة) ممّا يؤدّي إلى تنافرهما بفعل القوّة الكهرمغنطيسية واستحالة ظهور الجزيئات وبالتالي الأجسام الماديّة.

نسبة القوّة الكهرمغنطيسيّة

لقوّة الجذب الثّقالي.

لكي ندرك أهمية الدّقة التي ضبط بها مقدار القوّة الكهرمغنطيسية وقوّة الجذب الثّقالي نتخيّل كونا

**من يريد نسبة وجوده إلى
الصدفة ولا يرى في التقدير
الدقيق لقيم الثوابت
الفيزيائية وجمال الكون
ونظامه البديع و تناغمه إلا
حادثا عرضيا في مرجل من
العبث، فهؤلاء موجودون
كما يخبرنا الخالق نفسه
سبحانه « ما قدروا الله حق
قدره»**

قال لنا الخالق «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» أي
بحد لا يتجاوزه ولا يقصر عنه وهو ما تدعّمه لنا
الثوابت الفيزيائية. و لكن من يريد نسبة وجوده إلى
الصدفة و لا يرى في التقدير الدقيق لقيم الثوابت
الفيزيائية و جمال الكون و نظامه البديع و تناغمه
إلا حادثا عرضيا انبثق من مرجل من العبث فهؤلاء
موجودون كما يخبرنا الخالق نفسه سبحانه «ما قدروا
الله حق قدره» (الآية 67 من سورة الزمر 39) أي
ما عظموا الله حق تعظيمه كما جاء في «الصحيح
في اللغة». و تلك قصة ادم و أبنائه إلى يومنا هذا.
فمنهم من يعظم الخالق و منهم من حتى لو يتجلى له
الله سبحانه فلا يؤمن به و لنا في زعيمهم إبليس خير
مثال على ذلك..

جاذبيته الثقالية أكبر من ثقالة كوننا بـ 10 أضعاف
مما يعني أنّها أضعف من القوة الك.م. بـ 10^{35} مرة
وليس 10^{36} مرّة. في مثل هذا الكون ستكون النجوم
صغيرة جدًا ولن يتعدّى قطرها كيلومترين عوضا
عن المليون وأربع مائة ألف كم للشمس ولن تعمر
أكثر من سنة عوضا عن 10 مليار سنة للشمس.
في هذا الكون تصبح الأجسام صغيرة والأحداث
متسارعة. فالكواكب تصبح قريبة جدًا من الشمس
و تدور حول نفسها في ثانية. إنّ اختلاف بسيط في
نسبة القوتين ويتغير الكون جذريًا مما يعني استحالة
ظهور الحياة. إنّ ظهورنا مرهون في اختلاف يقدر
بجزء من مليار مليار مليار جزء بين مقداري
القوتين الذين هما عليه الآن.

ونختم بالقول أنّ العلم يكتشف القوانين ولا يفسرها.
ويقول أنّ تلك القوانين يمكن أن تتغير في كلّ لحظة
إذ ليس هناك من سبب منطقي لكي تبقى على ما هي
عليه الآن إلى الأبد. وهذا يعني ببساطة أنّ القدرة
الإلهية التي حدّدت مقادير الثوابت الفيزيائية لغاية
ظهور الإنسان قادرة على إحداث تغيير بسيط جدًا
جدا في إحداها ليحدث انقلابا كونيا في كلّ لحظة.

التقدير الإلهي

رأينا كيف توصل العلم الحديث إلى أنّ الكون لم
يكن في الحالة التي هو عليها الآن إلا بفضل الثوابت
الفيزيائية التي ضبّطت مقاديرها منذ البداية. إنّ
تحديد تلك المقادير بدقّة تقتضيها الغاية وهي خلق
الإنسان في حيّز فضائي أصغر مليارات المرات من
رأس «دبّوس» وفي حالة حرارة لا يمكن تخيلها،
فعل يمكن نسبته وبدون أيّ تردّد إلى خالق مطلق
قادر على ذلك.



محمد المعالج
«باحث وكاتب»
mohamedmaalej92@yahoo.com

عن التواضع



والمتميّز بعدّة خصال فريدة من نوعها. وهذا يساهم بدوره في تعزيز شعور الفرد بالنّرجسيّة والغرور. علاوة على هذا، فإنّ الشّخص المغرور غالبا ما يعاني من مركّب نقص ودونيّة مقارنة بالآخرين. فبمجرد أن يلقي المرء نظرة خاطفة الى من يفوقه معرفة أو خبرة في الحياة حتى يبدأ في ملاحظة الفروق الفاصلة بينهما. كما تسهم هذه المقارنات العقيمة في تعميق الشّعور بالنقص.

شخصيا أمقت الغرور وأنبذ التّكبر والعجب وكلّ أشكال الاستعراض المجاني التي ينتهجها الكثير من النّاس في هذا الزمان. فالغرور في تقديري ينمّ عن وجود خلل في شخصيّة المغترّ بذاته والمعتدّ بها الى درجة الشّعور المقيت بالاستعلاء والتّفوق الوهمي على الآخرين. كما أنّ الغرور دليل قطعيّ على حالة مرضيّة تشكو عديد التّناقضات والصّراعات الدّاخلية والخارجيّة ممّا يجعلها تميل الى الظّهور بثوب المبجلّ

**الفرور دليل قطعي
على حالة مرضية تشكو
عديد التناقضات والصراعات
الداخلية والخارجية مما
يجعلها تميل الى الظهور
بثوب المبجل والمتميز بعدة
خصال فريدة من نوعها. وفي
المقابل، فإن التواضع دليل
على غنى النفس وعلامة على
سعة الأفق ورقي المتواضع.**

المبدعين من شأنه أن يعزز شعور البعض بالخيبة
إضافة الى ترسيخه مشاعر الدونية والسلبية.

في المقابل، يلعب التواضع دورا مفصليا في
شعور الفرد بالتوازن والطمأنينة فضلا عن تعزيزه
لقيم التسامح والتسامح ونبذ الفرقة والرغبة في
التشفي أو الانتقام.

في المقابل، فإن التواضع دليل على غنى النفس
وعلامة على سعة الأفق ورقي المتواضع.

يقول أحد الحكماء: «الخير كله في بيت ومفتاحه
التواضع والشر كله في بيت ومفتاحه التكبر». من هنا
تستشف قيمة ومكانة التواضع في حياة الانسان إضافة
الى أثره الكبير في توطيد عرى الأخوة والمحبة بين
الناس على اختلاف مشاربهم ومرجعياتهم.

وخلافا لما يعتقد البعض، فإن التحلي بخصلة
التواضع ليس مرادفا للضعف والهوان بقدر ما
هو كفيل بتحقيق العزة والكرامة الانسانية. كما أن
التواضع لا يقصد به الاستكانة والتنازل عن الحق
على اعتبار أن الافراط في التواضع يجلب المذلة.

فإذا ما أراد الانسان أن يبلغ مرتبة الاستقامة
المنشودة فلا بد أن يجمع بين تواضعه مع الله عزّ
وجلّ والتواضع مع خلقه حتى يسهل عملية التواصل
والتعاون مع الآخر من خلال قبوله بكل اختلافاته.
يقول تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا...» (سورة الفرقان الآية 63)

كما أن عدم الاعتراف بالمجهودات الصادقة
وجحود المساهمات القيمة لعدد لا يستهان به من

لا يدخل الجنة

من في قلبه ذرة من

كبر



د. مصطفى يوسف الداوي
«كاتب فلسطيني»
tabaria.gaza@gmail.com

الخطاب القومي العربي بين التسامح وعقد الماضي



وتغييرهم للاتجاه وتبديلهم للولاء، طمعاً في مناصب أو حرصاً على جاهٍ ومكاسب.

لكن المؤتمر القومي العربي الذي عقد اجتماعه التأسيسي الأول في تونس عام 1990، يعود به الزمان ليعقد دورته السابعة والعشرين في مدينة الحمامات التونسية، منتظماً في مواعيده، ومحافظاً على زمان انعقاده، إذ تنعقد اجتماعاته دورياً في مثل هذا الوقت كل عام، وتتسع له عواصم عربية عديدة، فإن تعذر انعقاده في عاصمة، فتحت له أخرى أبوابها، ورحبت به واتسع فضاؤها لأفكاره ومناقشاته، وأحسنّت ضيافة أعضائه، فكان انعقادٌ وإن تكرر في بيروت

إنه شيء يشبه المستحيل في عالمنا العربي، فهو حالة نادرة غير معهودة من الانتظام والدورية الغريبة، لم تعتد عليها المؤسسات العربية الشعبية والرسمية، التي لا تكاد تنعقد مؤسساتها وتلتئم اجتماعاتها بسهولة، إذ تتعطل وتتأجل، وتتأخر وتتجمد، وتتكلس على أشخاصها ويحتكرها المهيمنون عليها، ويرثها أبناءهم ويقودها من بعدهم أتباعهم، على نفس النهج ووفق ذات السياسة، إذ تُكيف أنظمتها الداخلية، وتسوى لوائحها التنظيمية ليبقى عليها ذات الأشخاص ونفس الرموز رديحاً طويلاً من الزمن، ينتهي بموتهم أو خرفهم، أو بانحرافهم عن المسار

لا تستطيع المميزات الجميلة التي تتم بها المؤتمر القومي العربي عبر تاريخه أن تخفي عيوبه ومثالبه، التي تظهر في قاعة الحوار في شكل اختلافات كثيرة وتناقضات عميقة، قد تتعارض مع المفاهيم القومية والمنطلقات الفكرية العربية.

الجلسات الأخيرة للمؤتمر في دورته السابعة العشرين حملت أفكاراً منفرة وأخرى مخيفة، وأطلقت العنان لكلمات متطرفة ومتزمتة، منفلة من عقالها وخارجة عن سياقها، وأبرزت مفاهيم تمزق جمع الأمة وتهدد نسيجها العام، إذ ألقيت كلمات متشنجة تقود إلى شق الأمة بدلاً من جمعها، وتباعد بين شعوبها بدلاً من التقريب بينهم، وتعدم فرص اللقاء وترفض الحوار بدلاً من أن تخلق فرصاً للتلاقى، وتصنع قواسم مشتركة للتفاهم، وعلى الرغم من أنها لم تكن ترضي الجميع إلا أن أصحابها تمارس فيها وكرروها، وتنادى غيرهم إلى المنصة وأكد أفكارهم وأيد دعواهم.

الإسلاميون جزء أساس من الأمة العربية، ومكون رئيس فيها، تاريخهم فيها طويل، ودورهم في مسيرتها كبير، ولهم إنجازات عديدة وإن كانت عليهم ملاحظات كثيرة، مما لا يغفل دورهم ولا ينكر وجودهم، إلا أن بعض المؤتمرين أنكروا وطنيتهم، وشككوا في قوميتهم، ودعوا إلى وصفهم بالرجعيين

والقاهرة، وتونس وبغداد، والمنامة والدار البيضاء، وصنعاء والجزائر، وما زالت كرتة تدور، وعجلته تسير، وهو يتجاوز الصعاب ويقفز بنجاح فوق التحديات، ويسير بحذر بين الغام مزروعة وأخرى مقصودة، وما زال يبحث عن عواصم عربية تستقبله من جديد ولا تعترض عليه، وترحب بكل أعضائه ولا تمنع أحداً منهم من الدخول إليها، ليبقى المؤتمر حراً سيداً مستقلاً.

غالبية أعضاء المؤتمر القومي العربي يحرصون على المشاركة في دوراته، والاستجابة إلى دعواته، ويحزن من منع، ويعتذر من عجز، ويرسل مساهمته من غاب، علماً أنهم على حاسبهم يأتون، وعلى نفقتهم يحضرون وقيمون، وبعض مالهم ولو كان نزيراً يسيراً يساهمون، رغم أن أغنياءهم أقلية، وأثرياءهم قلة، ولكنهم أغنياء وفقراء يساهمون فيه ليبقى، ويؤدون الاشتراك ليستمر.

لكن هذه المميزات الجميلة التي تمتع بها المؤتمر القومي العربي عبر تاريخه الذي تجاوز الربع قرن بسنتين أخريين، لا تستطيع أن تخفي عيوبه ومثالبه، ومساوئه ومشاكله، التي يحسن الأعضاء إبرازها، ويتقن المنتسبون إليه إظهارها، ويتفننون جميعاً في ترزينها وحسن إخراجها، فهو ينتظم شكلاً وينعقد ملتقى، ولكنه يظهر على منصة النقاش وقاعة الحوار اختلافات كثيرة وتناقضات عميقة، قد تتعارض مع المفاهيم القومية والمنطلقات الفكرية العربية التي نشأ عليها، ولا تعكس الروح الوحدوية القومية الجامعة، وتتنكب لمعاني الخوف والحرص على الأمة وأبنائها، ولكنها تبقى دوماً ضمن دائرة التباين الطبيعي في الآراء والتكامل في الأفكار وصولاً إلى الأفضل وتحقيقاً للأصلح، حيث يسود الحوارات في الغالب هدوء وقبول، فلا مناكفات حادة ولا صراخاً وصخباً غير حضاري.

نصبت ليعلق عليها رجالها، علماً أن هذا الظلم لا يبرر لهم أو لغيرهم العنف، وهذه السجون لا تجوز دعوات الانتقام ومساعي الثأر.

الحقيقة أنه لا اعتدال ولا نزاهة في المواقف والرؤى، ولا ميزان عدل في النقد والجرح لدى الكثير ممن هاجم واعتدى، ودعا إلى التصريح والإعلان، ورفض التلميح والتعميم، إذ أرادوا تسمية دول بعينها وتحديد حكومات باسمها، بينما رفضوا إدانة حكوماتهم، والتعقيب على سياسات بلادهم، رغم أن الجميع مدان ومتهم، وعليه ملاحظات وله مشاركات ومساهمات، إذ لا طهر ولا عدل بينهم مطلق، كما لا تأمر ولا رجعية ولا ارتهان عند غيرهم مطلق، والشعوب أسبق في الأوطان وأكثر أصالة، وهي صاحبة الحق ووريثة المجد، وإليها ينتسب الفضل وعلى يديها عبر التاريخ ينعقد الخير، وهي التي تصنع المواقف وتقدم القادة والزعماء، وتكتب بتضحياتها صفحات تاريخ العرب الناصعة.

يخطئ أعضاء المؤتمر القومي العربي الذي لا يتجاوز عدد المشاركين منهم مائتا عضو في دورته الحالية، وإن كان عددهم عبر دوراته السبعة والعشرين التي مضت يفوق الألف عضو، عندما يعتقدون أنهم وحدهم يمثلون ضمير الأمة ويعبرون عنها، وينطقون باسمها ويتحدثون نيابة عنها، وأن ما يقولونه داخل جدران القاعات وعبر مكبرات الصوت، إنما هو صدى الشعب ورجيع الأهل، وتوصياتهم تمثل أمانى الأمة وتطلعاتها، وأحلامها وخيالاتها، ويخطئون عندما يصفون ما يرون أنه الحق والصواب، وأنه خيار الأمة وقرار شعوبها، وأن من يحيد عنها يخرج عن الأمة ويتناقض معها، فيحتكرون برؤاهم الحق وكأنهم يريدون من الأمة كلها أن تنظر بمنظارهم، وأن تحكم بعقولهم، وأن ترى ما يرون، إذ هو وحده سبيل الرشاد، وكوة الفرج وبصيص الأمل.

يخطئ أعضاء المؤتمر القومي العربي الذي لا يتجاوز عدد المشاركين منهم مائتا عضو في دورته الحالية، عندما يعتقدون أنهم وحدهم يمثلون ضمير الأمة ويعبرون عنها، وينطقون باسمها ويتحدثون نيابة عنها، وهو صدى الشعب ورجيع الأهل.

ونعتهم بالمتأمرين، وتحميلهم المسؤولية عما آلت إليه الأمة من فوضى واضطراب، وتقاتل واحتراب، واختلاط في السلاح وتعدد في هوية حملته، وكأنهم هم وحدهم السبب فيما لحق بالأمة من مصائب ونكبات، وغيرهم مما حدث مبرأ، وعن الخطأ مقدس، وعن العيوب والنقائص منزلة.

لم يميز المؤتمر بين حركة إسلامية وأخرى، بل عمم أغلبهم وأجمل أكثرهم، وانطلق كثير منهم من ماضي في نفوسهم حبيس، وتاريخ في ذاكرتهم لا ينسى، حفرته الأحداث، وعمقته الخلافات، وأبقته في العقل والقلب علامة بارزة الصراعات والمواجهات، فاعتبر أكثرهم أن الحركة الإسلامية الأم هي التي فرخت وأنجبت، وعنها انشقت الحركات وتشكلت، واتهموا فكرها بالضيق المحصور، إذ تكون وتشكل في السجون وخلف القضبان، فكان قاصراً في رؤيته، ومنقماً في منهجه، الأمر الذي ساعد في التأسيس للعنف والترويج له، متجاهلين الظلم الذي تعرضت له الحركة الإسلامية المعتدلة، والجور الذي وقع عليها، والسجون التي فتحت لها، والمشائيق التي



ستكونُ ناراً في ديار أبي لهبُ



قد سئما كلفتَ المحيا ..
ولم نصن النبوة والقصائد والنسب ..
سيموت فينا كل شيء ..
كَي يولد الموعود ..
من رحم الفجيعة ..
والوجيعة والغضب ..
ستكونُ ناراً ..
في حمى اليأجوج والمأجوج
ستكونُ ناراً في ديار أبي لهب

هذي البسوس كما عهدتم يا عرب ..
الموت والأحقاد والفوضى ..
بلا أدنى سبب ..
غير الخيانة والعمالة ..
والجنون الحرفي ..
سير الخوارج والنخب ..
سنجرب التخريب مرات ومرات ..
ونفنى مثلما تفنى الخرافة ..
في التثاؤب .. والعجب ..
وسيكتب التاريخ أنا ..



بحري العرفاوي
«شاعر تونسي»
facebook.com/bahri.arfaoui.3

حديقة الشعراء

حلب

مثل بزد
مثل أعراض الشلل
وببارك برك الدماء وينتشي إذ يعتدل
فوق الظهور.... وفوق أعناق الإبل !
إبل عجاف !
يكاد النفط يبتلع التراب
يكاد الصبر يرحل بالمدينة و«المثل»
عرب..... يُقال !
تقول غزة : ياعرب !
ويد العراق يكاد يقطعها العرب !
عرب الحصار.... كأنهم بل هم حطب !
عرب رجال..... ترجلوا حد التعب !
وتنافسوا في سد أنفاس المعاني والكتب
عرب..... يُقال !
تدافعوا ... كي يدفعوا
لم يدفعوا عن مائهم أو تمرهم أو عن كذب
لم يدفعوا الريح التي تلوي جلود ظهورهم
وتمرور فيهم.... كالقصب
عرب إذن
ولهم لسان في البلاغة والأدب
ولهم فنون في المدائح والغزل:
هبل / هبل
هبل تقول ... ونسمع

لا شيء بعد الآن صار يهمني
من بعدما خربت حلب
لا رمز بعد اليوم سوف أجله
من بعدما انكشف الكذب
يا أيها العرب الذين خبرتهم
يا أيها السفهاء يا زيف العرب
كل الحروب التي تخاض بأرضكم
أنتم لظاها والخشب
يا أيها الشجعان والفرسان يا...
كم قد قتلتم منكم
باسم العروبة والشهامة والأدب؟
عرب / عرب
صنم لكل قبيلة
ولكل عبد في عشائنا هبل
هبل من اللحم الطري ومن عظام
ومن عقد ومن حقد وجهل والعلل
هبل ويخطب في الجموع يقول قولاً لم يقل
ويحل بالألوان في الغرف وفي النفس الحزينة
دون حل
هبل ينام على الحرير ويمتطي النسومات
يزقد في جفون الساهرين بلا ملل
هبل ويسري في المفاصل
مثل حمى

هَبْلُ نَجْوَعُ....وتشبع
هَبْلُ نَهَجُ..... وترتع
هَبْلُ فداك الروح وهي ذلوت
وفداك يا هَبْلُ البنون والبنات والدول
نفنى وتبقى يا هَبْلُ
أنت الهويّة والحضارة والحداثة والأمل
أنت المخلص والمدرس والشفاعة يا بطل
نفنى إذن
تفنى الدول
يفنى التراب والشباب والعقائد والمعارف والملل
يفنى الذي لا يلهج
يفنى الذي لا يمدح
يفنى الذي ينتابه شكّ بحقك يا هَبْلُ
عرب.... يُقال
ويسخرون من العرب!
ويسرحون ضباعهم في كل شبر معتشب!
ويسامون على دماء «يوسف» من غير خوف أو خجل!
يا يوسف: احذر أخوتهم... فهم من غير أب!
احذر وسيطاً غادراً واحذر طعاماً في الغلب!
احذر نداءً ناعماً... لا تستجب... لا تستجب
هَمُّ يقتلونك ثم يأتون إليك في طواير الجنائز والمآتم والقبيل!
هَبْلُ / هَبْلُ ... هَبْلُ / هَبْلُ
ويفاوضون على دمك
وعلى انتصارك واندحار عدوك... يتفاوضون!
ويطلقون من دمك!
هَمُّ من دمائك يكبرون كما القراذ...
ويسرحون في جراح حيّة... لم تندمل
هَمُّ يرقبون حلمك.. ودّوا بالآيكتمل
وهم هَبْلُ ... ولهم هَبْلُ



عبد العزيز الثعالبي: الزعيم المنسي

هجمات المتمزمتين وأصحاب الطرق الصوفية المتواطئين مع سلطة الاستعمار الفرنسي مما أدى به إلى المحاكمة والسجن سنة 1904. وقد عبّر عن أفكاره التجديدية بعد ذلك في كتاب صدر له في ترجمة فرنسية سنة 1905 وهو بعنوان: «روح التحرّر في القرآن». وشملت مواقفه التجديدية الدعوة إلى تعليم المرأة وتمكينها من حرية التنقّل والمشاركة في تنمية المجتمع وتحرير العقيدة من بعض بدع الطرق الصوفية والدعوة إلى حرية الفكر والتسامح بين الأديان...

- مثّل الشعب التونسي في مؤتمر فرساي المنعقد في باريس بعد الحرب العالمية الأولى (1919) وقدم مطالبه بعد أن ضمّنها كتابا بعنوان «تونس الشهيدة، مطالبها» فكان شبيها بالزعيم الوطني المصري «سعد زغلول». وقد سُجن من قبل سلطة الاحتلال الفرنسي إثر رواج كتابه بتهمة التآمر على أمن الدولة الفرنسية في جويلية (يوليو) 1920 وأطلق سراحه بعد ضغط شعبي في ماي (مايو) 1921.

- ترأّس أول حزب سياسي تونسي منظم ذي امتداد جماهيري في كامل تراب البلاد التونسية وله برنامج سياسي واضح في تسع نقاط تضمّنت حقوق التونسيين في دستور ينظّم السّلط و برلمان يحاسب الحكومة وتعليم إجباري... وهو «الحزب الحرّ الدستوري التونسي» الذي تأسّس سنة 1920 وظلّ الثعالبي يتولّى إدارته مباشرة إلى أن دُفع إلى مغادرة تونس سنة 1923.

- سعى عند عودته إلى تونس سنة 1937 إلى توحيد الصفّ الوطني الذي عرف انقساما حادًا في فترة غيابه.

على المستوى العربي والإسلامي

سافر الثعالبي مرّات عديدة خارج تونس (1896-1902) (1912-1914) (1923-1937) وكان في كلّ سفرة يربط علاقات وطيدة مع عدد من الزعماء الإصلاحيين مثل الكواكبي ورشيد رضا وأمين الحسيني وغيرهم. وإذا كان في رحلاته الأولى قد عُرف بصفة الصحفي النشيط والوطني

لقد كان لشخصية عبد العزيز الثعالبي (1876-1944) المناضل السياسي والمصلح الديني والمجدّد الفكري والخطيب البارع والصحفي النابه، أبرز الأثر في التاريخ المحلي التونسي والقومي العربي وفي الامتداد الإسلامي من المغرب إلى تخوم الصين خلال عقدي العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي. غير أنّ هذه الشخصية أهملت في الفترة البورقينية في تونس لأنّ بورقيبة لم يكن يسمح أن يشاطره أحد في الزعامة. ولم يتجدّد الاهتمام بها إلا في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي حيث بدأت كتاباته تُطبع ويطلّع عليها الناس وبدأت تدريجيًا خطوات إعادة الاعتبار لهذا الزعيم وإيلائه المكانة التي يستحقّها. ومن مآثره:

على المستوى المحلي

- كان من المؤسّسين الأوائل لفن الصحافة في تونس، فقد أسّس بمفرده جريدة «سبيل الرّشاد» الأسبوعية سنة 1895 وهو في سنّ التاسعة عشر، دعا فيها إلى التجديد والتطوّر في إطار ثوابت العروبة والإسلام. وترأّس سنة 1909 جريدة «التونسي» الناطقة باسم أول حركة سياسية مناهضة لسياسة الاستعمار في تاريخ تونس الحديث وهي حركة الشباب التونسي. وساند من خلال تلك الصحيفة كلّ مطالب الشعب وكلّ تحرّكاته الميدانية في إطار مقاومة المستعمر. وأسّس سنة 1911 جريدة «الاتحاد الإسلامي» أداها فيها الغزو الإيطالي لليبيا ودعا إلى المقاومة وأشرف منذ سنة 1921 على مجلّة الفجر الناطقة باسم الحزب الوطني الناشئ «الحزب الحرّ الدستوري التونسي» وكتب بانتظام في جريدة «الإرادة» بعد عودته النهائية إلى تونس (1937-1944).

- مثّل أحد دعاة التجديد الفكري والإصلاح الديني في تونس امتدادا لأفكار الوزير المصلح «خير الدين التونسي» وتفاعلا مع مدرسة الإصلاح المشرقية التي تزعمها «جمال الدين الأفغاني» و«محمد عبده». وقد عرّضه ذلك إلى

الثعالبي مناظر سياسي ومصلح ديني ومجدد فكري وخطيب بارع وصحفي نابه، أثر في التاريخ التونسي والعربي وفي الامتداد الإسلامي من المغرب إلى تخوم الصين خلال عقدي العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي. غير أن هذه الشخصية أهملت في الفترة البورقبيّة. ولم يتجدد الاهتمام بها إلا في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي.

ما طبع من مؤلفات الثعالبي: (بين 1984 و 1999)

- تونس الشهيدة
- روح التحرر في القرآن
- محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان
- خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس
- محاضرات في التفكير الإسلامي والفلسفة
- معجز محمد صلى الله عليه وسلم (سيرة نبوية في جزأين)
- سقوط الدولة الأموية
- الرحلة اليمنية
- تاريخ المذاهب والأديان
- مسألة المنبوذين في الهند
- تاريخ شمال إفريقيا

- محمد العشي: أستاذ وكاتب تونسي
med.echi15@gmail.com

الغيور، فإنّه في رحلته الأخيرة قد توجّه إلى الشرق في صورة الزعيم السياسي المناضل ورمز الحركة الوطنية التونسية، فكان يجد الترحاب حيثما حلّ. ولعلّ أهمّ مآثره خلال إقامته المطولة بالشرق (قضّى أغلبها بين العراق ومصر) :

- السعي عام 1924 إلى توحيد اليمن وإلى تحرير جزئها الجنوبي من هيمنة الاحتلال الانجليزي. والتدخل بين الإمام «يحيى حميد الدين» حاكم اليمن الشمالي والملك «عبد العزيز آل سعود» لتجنّب اندلاع الحرب بينهما بسبب خلافات على الحدود. وقد تمكّن فعلا من تحقيق التهدئة بين الطرفين.

- المشاركة الفاعلة في إنجاز المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة 1931. حيث كان الثعالبي من أكثر المتنبّهين إلى الخطر الصهيوني المتربّص بفلسطين وكتب العديد من المقالات في ذلك الاتجاه. وكان من أشدّ المتحمّسين إلى تكوين جبهة إسلامية عالمية مضادة للجبهة الصهيونية التي قويت بعد وعد بلفور. لذلك شارك مع مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني في ترتيبات المؤتمر، واختير عضوا في لجنته التنفيذية التي تضمّ 25 عضوا وفي مكتبه الدائم الذي يضمّ سبعة أعضاء. وكان من الفاعلين في أشغال المؤتمر وفي إعداد القرارات والتوصيات التي تمخّضت عنه.

- توجيه أنظار العالم الإسلامي وخاصة الأزهر الشريف إلى ضرورة الاهتمام بالمسلمين في شبه القارة الهندية ودعم وحدتهم وجهودهم من أجل الاستقلال عن بريطانيا والكشف عن مناورات الهندوس بما في ذلك الزعيم التاريخي للهند «غاندي» الذي التقاه الثعالبي سنة 1925 وحاوره لمدة ست ساعات. كما نبّه إلى وضع طبقة المنبوذين وببّين إمكانيات تحوّلهم إلى الإسلام والعوائق التي تحول دون ذلك.

- يعتبر الثعالبي من أوائل الذين دعوا إلى الوحدة العربية ومهدوا السبيل إلى تكوين جامعة الدول العربية. وله في ذلك المعنى مقالات عديدة لا سيّما في مجلّة «الرابطة العربية».

مما قيل في الثعالبي

- الأستاذ محمد زكي باشا: «الأستاذ الثعالبي أمة جامعة، فلقد كنت من أشدّ الناس إعجابا بذكائه الباهر وفصاحته لسانه وسعة اطلاعه وغازاة علمه وفرط حميّه الإسلامية ... كلّ ذلك في تواضع وأدب وحياء وبُعد عن الإدّعاء والكبر...»
- عبد الحميد بن باديس: «عبد العزيز الثعالبي.. هكذا أذكره، دون لقب أوصفة. فإنّ هذا الاسم لم يبقَ علّما على ذات مشخّصة، تحتاج إلى صفاتها وألقابها، بل صار في أذهان الناس علّما على الرجولة والبطولة والزعامة، وعلى التفكير والعمل والتضحية، وعلى الإسلام والشرق والعروبة... فإذا قلّت محمد عبد العزيز الثعالبي قلت هذا كلّهُ».



لطفى الدهواثي
«مستشار الشؤون الاجتماعية»
lotfidahwathi2@gmail.com

الرهان الأول: المسألة الاجتماعية



فإنَّ أشدَّ النَّاس قدرة على التَّحليل لا يمكنه الجزم بمآلات هذا الحراك سلبيًا وإيجابيًا ولا بمدى تأثيره في الواقعين السِّياسي والاجتماعي .

إنَّ كلَّ التَّحركات الاجتماعية التي تظهر بين حين وآخر ليست سوى تعبيرًا عن حالة من السَّخط والاحتقان التي تعتمل في صدور النَّاس جرَّاء ما يعانونه من جهة وجرَّاء اليأس من التَّغيير الذي أصبح أملًا بعد الثَّورة المباركة، غير أنَّ هذه الاحتجاجات العشوائية لا يمكنها إحداث فارق ملموس في الواقع لجملة من الأسباب لعلَّ من أهمَّها غياب البدائل المطروحة وخضوعها لحسابات السِّياسة والأحزاب والأيديولوجيات المتصارعة.

رفعت الثَّورة شعارات كبيرة وكثيرة ذات طابع اجتماعي كردَّ فعل طبيعي على شعور غالبية الشَّعب التُّونسي بالغبن والتَّهميش طوال العقدين المنصرمين على الأقل، وكان المأمول أن تتحوَّل هذه الشَّعارات الى برامج لإنقاذ ما يمكن إنقاذه والبدأ الفعلي في مقاومة كل الظواهر الاجتماعية المخيفة التي نجمت عن عقود الاستبداد.

(2)

لم تفقد الثَّورة جذوتها فهي تخبو حينا وتعاود التعبير عن نفسها حينا آخر حسب مقتضيات الواقع الجديد بكل تعقيداته السِّياسية والاجتماعية. وبغض النظر عن التعاطي الايديولوجي مع الحراك الاجتماعي

**إنّ الفقر المتفشّي في ربوع
البلاد والتفاوت الجهوي
بين مدينة وأخرى كلّ هذا
لم يعد خافيا على أحد وما
زالنا نكتشف كلّ يوم بُؤرا
للفقر والحرمان وأناسا على
الهامش لا يكادون يجدون
القوت ويعيشون في
ظروف مزرية لا تتيح لهم
حتى الكفاف.**

التصديق بعد سنوات من ترويج الكذب عن المعجزة الاقتصادية الكبرى التي حقّقها النظام السابق ولكنّا نستطيع الآن أن نرصد ظواهر مخيفة سوف يكون لها بالغ الأثر على حياتنا كشعب وعلى الدولة كأداة لضبط الأوضاع وإصلاحها وكأداة لتنظيم المجتمع وتنميته الشاملة. إنّ الفقر المتفشّي في ربوع البلاد من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها والتفاوت الجهوي بين مدينة وأخرى وبين منطقة ومنطقة كلّ هذا لم يعد خافيا على أحد وما زالنا نكتشف كلّ يوم بُؤرا للفقير والحرمان وأناسا على الهامش لا يكادون يجدون القوت ويعيشون في ظروف مزرية لا تتيح لهم حتى الكفاف.

ليس الفقر وحده ما بات يخيفنا بل ظواهر أخرى أكثر حدّة وأصعب في المقاربة والحلول كظواهر البطالة، والانحراف، و التّسرب المدرسي، والجنوح والجريمة بكّل أنواعها، والعزوف عن الزّواج والعنوسة، وتعاطي المخدّرات والكفّرة، والانتحار،

(3)

يتوّهم الكثيرون أنّهم قادرون على كسب معركة التّغيير إذا أحسنوا إدارة اللّعبة السّياسية، أو إذا هم استطاعوا ترسيخ قدم الدّيموقراطية بغض النّظر عن مسائل مهمّة كمسألة النّقافة أو مسألة الدّين أو المسألة الاجتماعية. وهؤلاء لا يدركون حجم ما يوقعون أنفسهم فيه من أخطاء سوف تصيبهم في مقتل على المدى البعيد والقريب على حدّ السّواء، إلّا إذا كانوا يتوّهمون أنّ عودة القوّة للدولة كفيّلة وحدها بضبط المجتمع على الإيقاع الذي تريد، وهذا لا ينبئ بثورة جديدة على غرار الثورة الأولى وإنّما ينبئ بكارثة سوف تصيب الوطن كلّّه جرّاء اليأس من الوسائل السّلمية في التّغيير .

وقد يتوّهم آخرون أنّ تأجيل الحسم في هذه المسائل الحيويّة كلّها أو بعضها سوف يتيح فسحة للتّعايش والتّوافق يمكن البناء عليها في المستقبل بعد استقرار الأوضاع لإحداث التّغيير المطلوب تدريجيّا دون الدّخول في صراع مدّمر ودون إحداث أيّ هزّات كبرى قد تزيد الأوضاع تعقيدا، غير أنّ هذه الأوهام سوف تزيد الواقع تردّيا قد يصبح من الصّعب إصلاحه وقد تعقّنت الأوضاع.

(4)

لا أحد ينكر مثلا أنّ سنوات الاستبداد والقمع خلّفت واقعا اجتماعيّا صعبا لا تخطئه العين المجردة فضلا عن عين الباحث والعارف الذي يملك المعطيات الاحصائية وأدوات التّحليل والمرجعيّة الفكرية التي منها ينطلق في مقاربة الواقع الاجتماعي المتردّي للمجتمع بغضّ النّظر عن انتماء هذه المرجعيّة لليسار أو اليمين.

إنّ هذا الواقع الاجتماعي بدا لبعضنا غريبا وصعب

ليست متوائمة مع القيم الحقيقية للمجتمع وإنما في معظمها فرضت عليه من طرف السلطة الحاكمة التي كانت تدعي التحديث وتتعالى عن المجتمع ولا ترى غظاظه في تخريب قيمه الأصيلة ما دام ذلك يحقق أهدافها في السيطرة عليه وإحاقه قسرا بالمنظومة القيمية للغرب حتى غدا المجتمع منبتا، مفككا، خائر القوى، مسلوب الإرادة ينقاد إلى التفكك من دون مقاومة.

(6)

إن معالجة الظواهر الاجتماعية معالجة حقيقية تقي المجتمع من التفكك والصدمات وتعيد له اللحمة والفاعلية لا يمكن أن تتم في مناخ يسعى فيه الجميع للاتكال على الدولة وتحميلها كل المسؤولية إن في التشخيص وإن في المعالجة. وإنه لمن الحيف أن تظل مقاربتنا للدولة هي نفسها منذ الاستقلال وما قبله، دولة الرعاية والإشراف، ودولة الوصاية والتنمية ، هي من يخطط وهي من يقارب و يشخص وهي من يضع الحلول ويوجه، وهي من يتحمل المسؤولية في المعالجة على الرغم من كونها هي من تسبب في تنامي كل الظواهر الاجتماعية السيئة بسياساتها ومنهجها في الحكم وبمنظومة القيم التي فرضتها على المجتمع.

إن الثورة تعني التغيير ولا تعني الاتكال والرّعونة وهي كذلك فرصة سانحة لإعادة إنتاج القيم والوعي ضمن مناخ جديد ومن ثم فعلى الفاعلين جميعا داخل المجتمع يقع وزر التغيير ودرء الخطر المحدق بالمجتمع من خلال المساهمة الفاعلة في القضاء على كل الظواهر الاجتماعية التي تهدده وهذا لا يلغي دور الدولة ولكنه يجعل لدورها حدودا ويضعها أمام مسؤولياتها.

إنّ هذه الظواهر الاجتماعية المخيفة ليست ظواهر مؤقتة أو نتيجة لظرفية سياسية أو اقتصادية عابرة ولكنها ظواهر تتفاقم باضطراب سنة بعد أخرى وكلما تفاقمّت ازدادت تعقيدا وانتشارا وبات من الصعب إيجاد الحلول المناسبة لها.

والعنف اللّفظي، والطلاق وانحسار دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية السليمة، وغيرها من الظواهر التي باتت تهدد المجتمع بالتفكك والانحلال .

(5)

إنّ هذه الظواهر الاجتماعية المخيفة ليست ظواهر مؤقتة أو نتيجة لظرفية سياسية أو اقتصادية عابرة ولكنها ظواهر تتفاقم باضطراب سنة بعد أخرى وكلما تفاقمّت ازدادت تعقيدا وانتشارا وبات من الصعب إيجاد الحلول المناسبة لها.

ولعل ما يزيد الأمر تعقيدا أنّ المنظومة القيمية السائدة ليس في مقدورها المساعدة على مقربة هذه الظواهر وتفكيكها وإيجاد الحلول المناسبة لها فهي منظومة محلّ تنازع بين تيارات فكرية وسياسية واجتهادية متنازعة كلّ يدعي امتلاك الحقيقة والكلّ فيها يدافع عن نمط متخيل للمجتمع والحياة يدافع عنه بشراسة من يدعي امتلاك الحقيقة لا بشراسة من يسعى نحو الحقّ والكمال. وهذه المنظومة القيمية

ألف تحية

نون الأسوة في المقاومة
الفاطمية





تحت السيطرة...

الفنان التونسي لطفي بوشناق
والفنان السوري عبد الله مريش

أنى نظرت رأيت نار المحرقة
ماذا يقول الحرف في خط المدى ...
وطن تدلى من حبال المشنقة
إن مر عصفور يغني مغرما ...
كسروا جناحيه أماتوا الزقزقة
هل نحن شعب واحد مهما بدا ...
فيينا اختلاف في الأمور المسبقة
قد فككونا كالطوائف وانبرى ...
كل يشد الكل حتى يخنقه
فانظر شتات في شتات كيف لا ...
إذ كل شيء صار تحت المطرقة
أمجادنا في الدهر صارت نكتة ...
من خجل للأرض ترنو مطرقة
أه بني اليوم كم من طعنة ...
في الصدر تأتي من أخ ما أحمله
لكننا والليل يجري خلفنا ...
والفجر حث الخطو حتى يسبقه
مازال فيينا موطن كي نحتمي ...
بالحب إن الحب مثل الزنبقة
وغدا ترى الأوطان ضوء ساطعا ...
وبرغم حقد الليل شمسا مشرقة
إن أغلقوا دربا فأيقن أننا ...
كم قد عبرنا من دروب مغلقة
يا والدي أيقنت، منك المعذرة ...
إني سأسقي الحلم دمع المحبرة
جرحي عميق غير أني مؤمن ...
وغدا يكون الجرح تحت السيطرة

يا أبي يا أبي يا أبي
يا أبي حزن ببوح الحنجرة ...
وجع بهذا الصدر يغمد خنجره
هي حيرة مثل الهزيمة مرة ...
ما للعروبة كالحطام مبعثرة
أنى نظرت رأيت موتا صارخا ...
لكنما وطن العروبة مقبرة
في القدس ما في القدس أو في غزة ...
قد عاث صهيون وأرسل عسكره
بغداد أو في الشام جرح واحد ...
من فخخ الوطن الجميل وفجره
والشعب بين الرعب أضحي دمعة ...
مذ أظهر الارهاب فينا مظهره
والدين دين الله إلا أنه ...
لم يرض شيخ الإفك حتى زوره
والكاذبون العابثون أوغروا ...
صدر الغبي بالشعب حتى كفره
إعلام بعض العرب أضحي فتنة ...
أصوات بعض العرب أمست ثرثرة
وترى الذي قد باع غدرا ضاحكا ...
ويراه أمرا داعيا للمفخرة
هل ثورة الأحرار دمر موطننا؟ ...
شتان بين من بينيه أو من دمره
في كل شبر من ثرائنا لوعة ...
في كل ركن من مدانا مجزرة
في مطعم للغرب صرنا لقمة ...
في نظرة للغرب صرنا مسخرة
قل يا أبي هل ضاع حقا حلمنا ...
ما عاد فينا خالد أو عنتره
وهل للعروبة لم تعد إلا أسى ...
في قلب من عشق الثرى ما أكبره
يا ولدي هذا المدى ما أضيقه ...

لسماع الأغنية على العنوان التالي:

<https://www.youtube.com/watch?v=6u0o6OOjvA8>

كلمات الأغنية: الشاعر العربي مازن الشريف



لا توصي يتيم على نواح

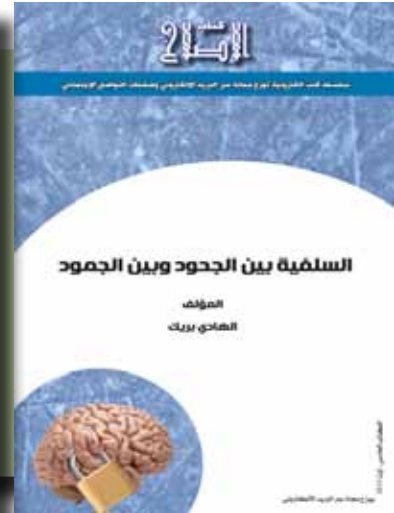
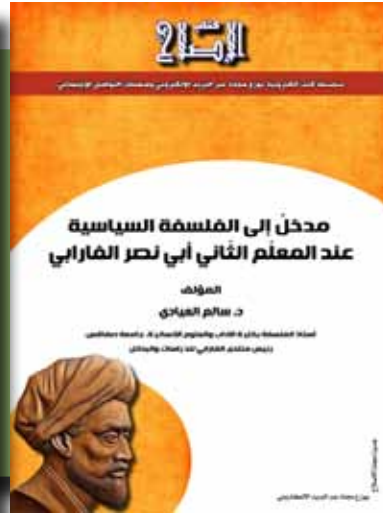
عميرات



الإصلاح

شعبان 1437 - ماي 2016
العدد 106 - السنة 5

كتاب الأصالة



www.alislahmag.com

موعدنا
يتجدد
مع العدد 107
جوان 2016
رمضان 1437